

المقتطف

الجزء الثالث من المجلد السادس بعد المائة

١ مارس سنة ١٩٤٥

١٦٩ ربيع اول سنة ١٣٦٤

الغاز العلم

- ٢ -

لغز الورقة الخضراء

في طلبية الغاز الطبيعية التي يوليها العلماء أعظم اهتمام ، لغز الورقة الخضراء . فالأوراق الخضراء ، أو جميع الأجزاء الخضراء في كل نبات ، هي أكبر وأعجب معامل كيميائية على سطح الأرض ، فهي في ما تركبه ، تعد أعظم منتج لمواد الطعام ، وأغزر مورد للوقود ، وبفعلها يرتبط مصير الانسان نفسه . وأظهر مظاهر هذا النشاط الحيوي الكيميائي الصناعي ، في الأوراق الخضراء ، هو اصطلاح ضوء الشمس وثاني أكسيد الكربون والماء على تركيب السكر . وهذا التركيب يتم في خلايا الورق والجذوع . ولما كانت الأوراق والجذوع ، خضراء على الغالب ، فإن معنى ذلك انها لا تستطيع أن تفتتح إلا بطائفة من أشعة الشمس ذات طول معين . وبعد أن يتركب السكر (أو أصناف السكر) يتحوّل إلى نشاء وخشب . وقد قدر العلماء ان مساحة تبلغ ذراعاً مربعاً من سطح الورق الأخضر تركب ثلث أوقية من السكر في النهار ، ولا تحتاج إلا إلى أكسيد الكربون والماء من المواد الأولية .

وقد كشف العلماء أن هذا العمل الكيميائي ، يحتاج الى أنزيمات لكي يتم . فهي مواد تؤثر في التفاعل الكيميائي الحيوي ، على نمط تأثير الوسيط الفلزي في التفاعل الكيميائي العادي ، أو هي تفعل فعل الأنزيمات الهاضمة في اللعاب في تهيئة عناصر التفاعل للتفاعل . وهذه الأنزيمات توجد في الورقة . أما الخضرة فلا غنى عنها كذلك . وقد أجرى فريق

من العلماء تجربة بلغت الغاية دقة وعجباً، فقد أحدثوا تغييراً في بناء الصبغى (السكر وموسوم) في نباتات اتخذوها موضوعاً للتجربة في المعمل، فدمرت في الصبغيات، عوامل الوراثة التي تحدث الخضرة في النبات. وصار ورق النبات أصفر لا أخضر، فثبت لهم أن هذا النبات حاجز عن أن يصنع بطريقته المألوفة كل ما يحتاج إليه من غذاء. فعمدوا حينئذ، إلى ترقيع جذع النبات، الذي حدث فيه هذا التحول العظيم، بجذع أخضر، يستطيع أن ينتفع بضوء الشمس، فإذا هو في منزلة مصنع يصنع الغذاء الذي مست إليه حاجة النبات، حين أزيلت خضرته.

إن طريقة انتفاع النبات بضوء الشمس لتركيب السكر من الماء وثنائي أكسيد الكربون لهي من أعظم الحقائق شأناً في تاريخ الحياة على سطح هذا السيار. ومع ذلك فلم يقيم العلماء النفوذ إلى سرها. والناس لا ينتفعون بنتاج هذا التركيب، إلا في المرتبة الثانية أو الثالثة على الغالب. نعم قد نكون ممن يحبون أكل السلطة الخضراء، أو الخس الأخضر غصّاً، فننتفع بما يصنعه لنا النبات، ولكننا على الأكثر ندع المواشي تأكل النبات الأخضر (أي المصانع الكيميائية وما تصنع) ثم نأكل نحن لحم المواشي.

ولو استطعنا أن نفعل منذ الولادة، ما تفعله الورقة الخضراء، أي أن نتفع بضوء الشمس في تركيب السكر من الماء والهواء، لقضي على مشكلة من أخطر المشكلات التي يواجهها البشر. وإذا لظفرنا بكل ما نحتاج إليه من غذاء بأقل جهد، ولا شرق فجر عصر جديد في حياة الناس. ولذلك نرى العلماء مكبّين على استطلاع السر، ومن يدري فقد نصبح ذات صباح فنقرأ خبراً مطويّاً في زاوية محجوبة من صحيفة، أن السر قد كشف، على حين نقرأ في الصحيفة نفسها عنواناً مكتوباً بحروف عراض، وصف معركة أو جريمة أو مولد خمسة توأم.

وإذا كشف السر، فعمى أن يكون للجهاز الرحوي (سيكلوترون) يدٌ كبيرة في ذلك. وأحد منافع الجهاز الرحوي، أنه يصلح لتحويل طائفة من العناصر غير المشعة، عناصر مشعة. وليس يهمنا في هذا البحث أن مدة إشعاع هذه العناصر تختلف طويلاً وقصراً. وإنما يهمنا أن العلماء صنعوا أجهزة دقيقة، تبين مسير ذرات هذه العناصر في أجهزة الهضم وأوعية الدم، في أجسام الحيوان والنبات، وقد عمد العلماء إلى التوصل بذرات العناصر التي استحدثت فيها الإشعاع بالجهاز الرحوي، لاستكشاف المواد والتفاعلات الكيميائية في النبات. فقد تمكن الدكتور روين أحد أساتذة جامعة كاليفورنيا من أن يضع قدراً مشعاً

من ثاني أكسيد الكربون وتتبع امتصاص النبات لجزيئات هذا المركب المشع . والطريقة التي اتبعها في تحويل ثاني أكسيد الكربون مشعاً تقوم على إطلاق قذائف الجهاز الرحوي على ذرات البور فتقذف منها ذرات كربون مشع فتستعمل في توليد جزيئات ثاني أكسيد الكربون فتكون مشعة ، فتوضع هذه الجزيئات في فضاء وحا تممو فيه نباتات مثل الشعير والقمح وعباد الشمس فتمتصها ، ثم يشرح النبات أو يفحص بالمطياف أو يحلل تحليلاً كيميائياً لمعرفة ذرات الكربون فيه . وقد عانى هذا العالم مشقة عظيمة في بدء البحث لأن ذرات الكربون المشعة تفقد قدرة الإشعاع في ست ساعات ، ولذلك عمد إلى ذرات نظير isotope من نظائر الكربون لا تفقد قدرة الإشعاع المستحدث فيها إلا بعد انقضاء نصف مليون سنة . وعليها مدار التجارب الآن .

ومع ذلك فلا يزال سرُّ الورقة الخضراء باب موصداً ، يحجب وراءه كنوزاً من المعرفة لا تقوم بمال .

لغز بدء الحياة

ان الغالب في دوائر علوم الأحياء ، هو القول بأن نشوء الأجسام الحية على سطح الأرض تمّ من مواد غير حية . فكيف نشأت الخلية الأولى ؟

والخلايا ككل شيء في الكون مركبة من جزيئات والجزيئات مركبة من ذرات . وكل ذرة تشبه — إلى حدٍّ ما — نظاماً شمسياً قوامه دقائق موجبة الكهربائية وأخرى سالبتها . فالمادة الأصلية التي تتقوم بها الخلية الحية ، هي مادة لا حياة فيها . ولكن الخلية تنشط وتتكاثر . والانشطار ليس مقتصرأ على الخلية ، بل يشمل مئات وألوف من الأجسام الداخلة في تركيبها كالصبغيات وما أشبه . ومن هذه الخلية ، تتركب جميع أجسام الأحياء ، من سمك وطير وبشر ، ومن مجنون في مستشفى إلى رجال بلغوا قمم العبقرية ، من أمثال مقراط وميكل انجيلو ونيوتن وبيتوفن . فكيف بدأت هذه الخلية ؟ وكيف اصطلحت عوامل الطبيعة على جمع الذرات والجزيئات جمعاً ينشئ منها خلية حية ؟

ليس يملك العلم جواباً شافياً عن هذا السؤال . ولكنه يملك رأياً نوجزه فيما يلي :

بعد ما بردت كرة الأرض حتى غدت حرارة قشرتها معتدلة ، كان جانب كبير من سطح الأرض يغطيه الماء . وكان الغلاف الغازي المحيط بالأرض يحتوي على بخار الماء وثاني أكسيد الكربون والنيتروجين وبعض غاز النشادر ، ومن المرجح ان مقدار الأكسجين فيه كان يسيراً جداً . أما الأكسجين الذي نجمه في الهواء الآن فردّه إلى الأكسجين الذي كان متحدأ

بالكربون في ثاني أكسيد الكربون. وقد انطلق الأكسجين من عقاله بعد أن ترسب الكربون صخوراً محتوية على كربونات الجير مثلاً ، أو خماً في عروق الفحم ، أو نفطاً في طبقات الأرض . وكان لنمو النبات شأن أي شأن في انجاز هذا العمل الواسع النطاق . ففعل التركيب الضوئي ، يتم في الأوراق الخضراء ، بفعل اليخضور (كلوروفيل) وإشعاع الشمس ، فيفصل الكربون عن الأكسجين — وهما متحدان في ثاني أكسيد الكربون كما تقدم — فينطلق الأكسجين حرراً في الهواء ويتسبب الكربون . ومن أدق البحوث العلمية الحديثة ، بحث غرضه الموازنة بين مقدار الأكسجين الحر في الهواء ، ومقدار الكربون المستقر في أشكال شتى في قشرة الأرض ، وقد أسفرت هذه الموازنة عن حمل العلماء على القول بأن كل أكسجين الهواء تقريباً مرده الى الأكسجين الذي كان متحداً بالكربون في ثاني أكسيد الكربون عند ما كان مقدار هذا الغاز المركب أعظم جداً من مقداره الآن .

ولا يخفى أن الاوزون يحجب الأشعة التي فوق البنفسجي بعض الحجب . وجزيء الاوزون قوامه ثلاث ذرات من الأكسجين . ومعظم اوزون الهواء الآن في طبقات الجو العليا فهي أشبه ما يكون بدثار يدثر الأرض على بعد عظيم من سطحها . ففي العصور الحالية عند ما كان مقدار الاوكسجين الحر في الهواء أقل كثيراً مما هو الآن ، كان ما يصل سطح الأرض من الاشعاع الذي فوق البنفسجي ، أعظم مما يصلها الآن .

ومن الحقائق المعروفة أن جزيئات ثاني أكسيد الكربون ، تتفاعل متأثرة بالأشعة التي فوق البنفسجي ، مع جزيئات الماء ، فتولد جزيء مادة « كربو ايدراتية » بسيطة كالنشا أو السكر . فاذا كان هناك نشادر في المكان الذي يحدث فيه هذا التفاعل ، تولد جزيء أشد تعقيداً وأكبر حجماً من جزيء السكر أو النشا . وقد يقترب في حجمه وتعقيد بنائه من جزيء البروتين . وعلى هذا الوجه تتولد المادة العضوية من المادة غير العضوية . ولكن هذه المادة العضوية ليست مادة حية ، فكيف نفخت فيها شعلة الحياة .

على كثر الزمن تتولد مقادير كبيرة من المواد العضوية كافية لتغذية الاحياء البسيطة التي قد توجد أو تظهر ، والرأي أن تأثير أشعة الشمس ، ولا سيما الأشعة قصيرة الامواج في طيفها أفضى على الزمن إلى نشوء جزيئات عضوية على جانب من تعقيد البناء كافٍ لظهور بعض خواص الاحياء فيها ، واذا كان هذا الفعل قد تم حقيقة فالعوامل المؤاتية لنمو هذه الاجسام الحية كانت متوافرة . فالطعام وفير والمنافسة منتفية . أما اذا ظهرت جزيئات من هذا القبيل على النحو المتقدم فسأله فيها نظر . ولعل جزيئاً واحداً ظهر وتكاثر ، فجميع الاحياء تتأثر تأثراً واحداً بالضوء المستقطب ، وتنحرك حركة واحدة في مستوى الاستقطاب بينما

هناك حركتان مشاهدتان في الأجسام غير الحية . وفي الأجسام العضوية البسيطة كأصناف السكر والذشا . فسكان هذه الصفة دليل على أن جميع الأحياء ترد الى هذا الأصل — الجزئي — البعيد البسيط

واذا ظهر جزئي من هذا القبيل واتصف بخواص الأحياء فنشوء الأحياء منه وتنوعها مسألة زمن طويل وتفاعل مستمر . ويكفي أن نسلم بنظرية التطور العضوي لتفسير أشكال الأحياء المتعددة التي تعمر سطح الأرض سواء أنباتية كانت أم حيوانية

وغاية ما يستطيعه البحث العلمي الآن في سعيه الى ادراك أصل الحياة إنما هو التوفر على بحث اشكال الحياة البدائية وهي مرتبة بحسب تعقد بنائها وتنظيم جزيئاتها كما يلي من الأدنى الى الأعلى : الانزيمات ، الفيروسات ، الراشحة ، البكتيريا (آكل البكتيريا) ، البكتيريا ، البروتوزوى . الأحياء المتعددة الخلايا من نبات وحيوان والانسان في أوجها .

ولعل البكتيريا هي أدنى الأجسام تعقيداً وتنظيماً في البناء التي ثبت أنها حية حقيقة ولكن بعض الأفعال التي تتصف بها أجسام دون البكتيريا مرتبة ، نشبه أفعال الأجسام الحية فعلاً من بعض نواحيها .

ولا يعلم ان الانزيمات الموجودة في الجائز ، والفيروسات الراشحة والبكتيريا فاج ، تستطيع أن تتكاثر وحدها ، فالانزيمات تتكاثر في أثناء فعل التخمر ، والفيروسات تولد خواصها في أجسام أرق منها مرتبة في سلم الحياة كما يحدث عند ما يصاب ورق التبغ بمرض مرده الى فيروس والبكتيريا فاج يتكاثر في أثناء قضائه على البكتيريا أما البكتيريا والبروتوزوى فتتكاثر بانشطار الخلايا على ان تكون درجة الحرارة وأحوال البيئة من طبيعية وكيميائية مؤاتية لهذا الانشطار . ولذلك من أشق الأمور أن يحكم العلماء : أتعذ الأجسام التي دون البكتيريا أجساماً حية حقيقة أم لا . فلاشعة التي فوق البنفسجي أفعل جداً في تدمير البكتيريا والأحياء التي فوقها في سلم الحياة ، منها في تدمير الأجسام التي دونها في هذا السلم . وهذه الحقيقة قد تكون كافية لتعليل وجود خلايا نصف حية على سطح الأرض عندما كان الاشعاع الذي فوق البنفسجي الواصل الى سطح الأرض أعظم جداً — لقلة الأكسجين الحر — منه الآن . ومن الجائز ان الأجسام التي في أسفل السلم — أي الانزيمات والفيروسات والبكتيريا فاج — التي تعجز الآن عن التكاثر وحدها بغير معونة تسدى اليها من أجسام أخرى ، كانت قادرة على التكاثر في أحوال أشد موئاة لتكاثرها عندما كانت الأرض في بدء مرحلتها ككرة صلبة . ومما هو جدير بالذكر في هذا الصدد أن الجنين الانساني يعيش الساعات الاولى بعد تكوونه في

معزل تام عن الأكسجين ، والنمو في هذه المرحلة الاولى من حياة الجنين يسير على وجه أشبه ما يكون بفعل التخمر وهو فعل يتم بمعزل عن الهواء أي بمعزل عن الأكسجين . ولعل هذه المرحلة من حياة الجنين ليست إلا ظلاً للمرحلة الاولى من مراحل الحياة على سطح الأرض .

لغز الملازمة في الأحياء

كيف تنشأ أشكال الحياة العليا — في النبات والحيوان — من الأشكال الدنيا ؟

ليس ثمة ريب في حقيقة التطور . والعلماء يعرفون جانباً كبيراً من السبيل الذي سار فيه التطور منذ أقدم العصور . ولكن المسألة الأساسية المحيرة هي فهم سبب التطور وطريقته . والعلماء اليوم أضعف ثقة بما قيل في سبب « أصل الأنواع » وطريقة تطورها حتى تلائم البيئة التي تعيش فيها ، مما كانوا منذ ستين سنة أو سبعين .

ففي الخمس والثمانين سنة التي انقضت منذ نشر كتاب أصل الأنواع ، جمع العلماء من الأدلة على ثبوت حقيقة التطور ما يجعلها في حرز حريز من سهام النقد . ولكنهم جمعوا كذلك من الحقائق عن الوراثة والتباين ، ما يثبت أن الآراء القديمة التي افترحت لتعليل التطور لم تعلق قط . ففظرية لامارك في توريث الصفات التي يكتسبها الآباء في حياتهم لا تقوم على أساس « ثابت » أو يجب تعديلها في ضوء ما عُرِف عن تأثير الأشعة السينية في عوامل الوراثة . وإذا كانت الصفات المكتسبة كما وصفها لامارك لا تورث فالأنواع الجديدة المتصفة بصفات تمكنها من ملائمة نفسها للبيئة لا يمكن أن تنشأ . أما مذهب داروين القائم على أن لكل صفة من صفات الجسم الحي مقاماً من حيث أثرها في الصراع الضعيف الناشب بين الأحياء ، وأن الصفات التي تمكن الكائن من الظفر في هذا الصراع تورث للأجيال التالية فأقرب إلى الاستنتاج المنطقي منه إلى الحقيقة . ومعظم التباينات الداروينية لا قيمة لها في هذا النزاع ولا هي تورث ، إنما هي في الواقع اختلاف يسير عن المتوسط السوي يقتضيه ناموس الاحتمال الرياضي أو يفسره ، وهي أضعف من أن يكون لها هذا الأثر الخطير في تغير مصير صاحبها وسلالته ، وهي تورث إذا كانت قريبة من المتوسط ، وتضعف قوة توريثها على قدر ما تبعد عنه .

على أننا في العهد الذي هدمت فيه نظريتنا لامارك وداروين في تعليل التطور لم يخرج أحد من العلماء تعليلاً جديداً كاملاً يحل محلّ التعليلين القديمين . ولعل رأي ديه فريز في « التحول الفجائي » mutation أهمها .

فواد صروف

« البقية في آخر الاخبار العلمية »

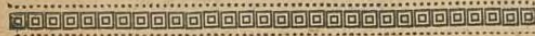


على هامش الطب

بعض ما يجب أن يعرف الانسان

عن جسمه ونفسه في صحته ومرضه

للكنور سلعبار عزمي باسا



قد سبق ذكر تركيب العرق فليراجع من يشاء — ونضيف على ذلك أن أهم غدد الجلد ثلاثة أنواع — غدد العرق وغدد تفرز مادة دسمة وغدد تفرز مادة صمغية وإفراز هذه يختلط مع بعضه فيزيد في لزوجة العرق على الجلد.

ولنفس السبب إذا وجد يوم شديد الحرارة بدرجة واحدة في القاهرة والاسكندرية فإن الانسان يتأثر من الحر بالاسكندرية لرطوبة جوها أكثر مما يتأثر منه في القاهرة أو في أي جهة أخرى أقل رطوبة من الاسكندرية — لأن تبخر العرق من الجلد يحصل بسهولة في ابرار الجاف — ومن حسن حظ المصطافين بالاسكندرية وشواطئ البحر ان حرارتها تكون عادة أقل من حرارة داخل البلاد وان بها نسيم خفيف يلطف حرارة الجو وينعش الجسم — ومن المشاهد وقد لاحظته على نفسي ما يحصل في أوروبا وبالأخص في السهول والأماكن المشبعة بالرطوبة — ان خطر ازدياد الحرارة فيها يكون أكثر منه في البلاد الحارة فتزداد حرارة الجسم تدريجياً لصعوبة تصريفها ويحصل هبوط في البنية واعياء شديد من الحر قد يؤدي الى ارتخاء العضلات وضيق التنفس وسرعة ضربات القلب وضعفها ثم الى هبوط وقد يعقبه الموت ولذا نقرأ في جرائد أوروبا حوادث وفيات في الصيف من اعياء الحر Heat Exhaustion أكثر مما يحصل في البلاد الحارة الجافة ومرض اعياء الحر شيء آخر خلاف ضربة الشمس Sun stroke.

• أذكر دليلاً آخر على تأثر الانسان من الحرارة في الجو المشبع بالرطوبة ما شاهدته عندما يشتغلون في البساتين بين الأشجار وتحت ظلالها إذ يظهر عليهم التعب بسرعة رغمًا عن أنهم يشتغلون تحت ظلال الأشجار ولا يشعرون بالتعب بهذه السرعة إذا ما اشتغلوا في الحلاء في وسط الغيط والسبب واضح. وهو أن النسيم يكون معدوماً بين الأشجار

الكثيفة كما يكون الهواء بينها وتحت ظلالها مشعاً بالرطوبة — فلا تحدث سرعة تبخر العرق الذي يلطف تبخره حرارة الجسم .

• والمعروف أن العرق إذا كان خفيفاً معتدلاً يؤدي فائدة في تعديل الحرارة وينبئنا أن وسائل مقاومة الجسم للحرارة قد ابتدأت أن تعمل لنحترس ولنقل مجهوداتنا ونستظل . ويستبشر أقارب المرضى إذا ما هلَّ عرق على مريضهم لأنه يلطف من شدة الحمى ويبشر بقرب الشفاء . وينفرون من العرق الذي يحدث والجسم منخفض الحرارة ويعدون دليلاً على الهبوط .

• لنفرض الآن أن البنية لا تتكيف بوسائلها الطبيعية لتخفيف ازدياد الحرارة فإذا تكون النتيجة : النتيجة تكون ظهور أعراض الاعياء من الحر التي تؤدي إلى الوفاة إن لم تتدارك بالعلاج المريع وليس التأثر من ازدياد الحرارة قاصراً على الإنسان . بل زاه يؤثر تأثيراً سيئاً على الحيوانات ذات الوبر للأسباب الآتية :

أولاً أن حرارتها الطبيعية أعلا من حرارة الإنسان الطبيعية، فحرارة الإنسان الطبيعية ٣٧ درجة كما ذكرنا وأما حرارة الكلاب والقطط فهي ٣٩ درجة مئوية وحرارة الخراف والدجاج $39\frac{1}{2}$ والفرار لا تعرق كثيراً لوجود الريش وكل من شاهد الفراخ في الحر يجدها ترفع أجنحتها عن جسمها وتفتح فيها وتتنفس بسرعة لتلطيف حرارة جسمها . وأما الكلاب فإن حركة تنفسه تزيد ويخرج لسانه لتصريف الحرارة — ويلاحظ أن الكلاب والدجاج والعصافير تغمس جسمها في الماء أو ترش عليه الماء لتخفيف الحرارة — وأغلب الحيوانات الشبيهة مائية كالبط حرارتها العادية تقرب من الأربعين ولذا فإنها لا تقدر أن تعيش إلاً بجوار المياه . وحب الجاموس للماء مشهور لنفس السبب وخصوصاً أن نسبة مسطح جلدها إلى وزنها وجسمها قليل فتكون نسبة تصريف الحرارة عندها ضعيفة فتستعين بالعموم في الماء لهذا الغرض . وليس الاعياء من الحر قاصراً على الإنسان لأنه يصيب الحيوانات فكثيراً ما تحصل وفاة للغنم إذا مشيت في الحر وقد حصل فعلاً في مزرعة ألبان بجوار القاهرة حادثة اعياء شديد من الحر لعدد كبير من الجاموس لأنها تركت مدة طويلة في الشمس فظهرت عليها أعراض مقلقة زالت عند ما نقلت إلى الظل ورش عليها الماء .

وكثرة الملابس وضيقها لا يسهل عملية أشع الحرارة ولا تبخر العرق وتكون بمثابة الوبر الغزير من جسم الحيوانات الوبرية والريش من جلد الطيور . وعند المبدين (السمان) تعيق طبقة الدهن السميك تحتم الجلد فقد الحرارة منه بواسطة التشمع كما تعيق انتظام

الدورة الدموية في أوعية الجلد الشعرية ولذا يتعب البدينون من الحر أكثر من غيرهم .
شاعت في وقت ما عادة طلاء الجلد بمادة لزجة للتسليم في أعياد السكرتال وغيرها وقد
توفي بعض الأشخاص من هذا السبب عند وجودهم في أماكن شديدة الحر لفقد الجلد وظيفته
تصريف الحرارة بواسطة العرق والإشعاع وكان الطلاء اللزج سبب هذه الإعاقة عن تأدية
الجلد لهذه الوظيفة

شاعت أخيراً طريقة تكييف الهواء وهي طريقة لها فوائدها ومضارها ولكن منافعتها
أكثر من ضررها ولا تضر إلا إذا أسيء استعمالها . ولا يجب أن تخفض الحرارة بواسطتها
في الصيف إلى درجة كبيرة وإن لا ترفع في الشتاء إلى درجة كبيرة أيضاً حتى لا يحصل فرق
شاسع بين حرارة الغرفة وحرارة الشارع ، لأن ذلك يساعد على الإصابة بالبرد إذا ما دخل
الإنسان الغرفة صيفاً أو خرج منها شتاءً ثم إلى الشارع لأنه يتعرض لفرق الحرارتين . فإذا
كان الشارع في الصيف حرارته ٣٩ درجة وتكييف حرارة الغرفة على ١٥ كان الفرق ٢٤ درجة
وهو فرق محسوس . وقس على عكس ذلك في الشتاء فتسهل الإصابة بالنوازل . ومن الضرر
استعمالها في غرف الأطفال الأصحاء فإنها تكييف الحرارة لهم بدل أن تكييف بنيتهم الحرارة ،
حسب الظروف بالوسائل الفزيولوجية — فتكون النتيجة أن تضعف هذه الوظيفة عندهم .
ومسألة كثرة الملابس لها نفس المضار ولكن بدرجة أقل . وعلى الآباء أن يعمدوا أطفالهم من
الصغر على قلة الملابس وعلى مواجهة التغيرات الجوية باحتراس ليعيشوا عيشة قريبة من
الطبيعة فتتبعهم وظائف المقاومة وتكييف البنية على مختلف الظروف . ومن فوائد
تكييف الهواء استعمالها صيفاً في غرف الأطفال المرضى بإسهال الصيف الخطر على حياتهم ، وقد
لوحظ أن تكييف الهواء باعتدال واحتراس في غرفهم بالمستشفيات يسهل عليهم الشفاء .

وقد استعمل الجرّاحون تكييف الهواء في غرف العمليات الجراحية فكانت لها مزايا
لا يستهان بها ، وتظهر فائدة ذلك واضحة جلية إذا ما علمنا أن الإنسان وهو تحت تأثير
البنج يفقد إلى درجة كبيرة وظيفة تكييف الحرارة ، البدنية ولا بد من وسائل اصطناعية
لتكييف الحرارة حتى لا يتعرض المريض أثناء العملية للإصابة بالبرد . ولهذا السبب يلاحظ
دائماً عند إنشاء المستشفيات أن تكون قاعة العمليات متوسطة بين حبر المرضى وأن يعمل
على أن لا يتعرض المريض لتيارات الهواء في الطرقات أثناء نقله من غرفة العمليات إلى غرفته .

• ونظرية صنع الترموس الذي شاع استعماله وصمت فوائده أساسها وضع الشيء
الراد حفظ برودته أو حرارته في اناء صنع بحيث لا تصرف جدره الحرارة لا بطريقة

الاشعاع ولا بطريقة توصيل الحرارة إلى ما جاورها . وقبل صنع الترموس كانت تستعمل أوانٍ صمَّ المسام لحفظ الماء شتاء مثل الدورق الزجاجي أو الصيني --- وفي الصيف تستعمل الأواني ذات المسام مثل القفل الفخار فيرشح الماء من مسامها ويتبخر على سطحها فيمتص الحرارة بعملية التبخر فيبرد الماء . ويساعد الإنسان عملية التبخر هذه بوضع قطعة من القماش حول الأناء ووضعه في مكان مظل به نسيم خفيف ، فقطعة القماش بقبلها والنسيم بحريه يزيدان حركة التبخر . والمزمية مغطاة بطبقة من القماش السميك يبلل لنفس هذا الغرض في الصحراء .

• يمكننا بعد كل هذا الشرح أن نذكر شيئاً عن الحميات . وقبل أن نتكلم عنها يجب أن نميز بين ارتفاع الحرارة أو زيادتها بدون سبب مرضي ، وبين ارتفاعها وازديادها بسبب مرضي ، مكروبي أو غير مكروبي . يوجد لفظان متشابهان ولكنهما اصطلاحياً غير مترادفين فلفظ حرارة زائدة Hypethermia معناه مجرد ارتفاع الحرارة لأي سبب كان . وتستعمل في الغالب في أحوال ارتفاع الحرارة من سبب غير مكروبي أو ما شابه المكروبات أو الفيروس . كأن يكون الارتفاع إثر امتصاص الدم المنسكب في الأنسجة عقب الصدمات وعقب الكسور ، أو من حقن اللبن أو حقن زيت الكبريت التي تسبب ارتفاعاً في الحرارة وتعطى عادة لعلاج بعض الأمراض مما لا داعي لإطالة الشرح فيه . وأما لفظ حمى Fever فقد أصبح لفظاً اصطلاحياً دالاً على ارتفاع الحرارة المسبب عن عدوى مكروبية أو ما شابهها ، موضعية كانت أو صمومية أو عن عدوى فيروس Virus وليست الحمى هي المرض بل هي ظاهرة أو علامة من أهم علامات المرض . فإذا قلنا التيفوس فهذا اسم المرض والحمى أحد أعراضه وبحكم العادة نقول حمى التيفوس مع أن كلمة تيفوس كافية وذلك من بقايا الماضي ، حيث كان كل ارتفاع حرارة يسمى حمى . وعند ما ابتداء الأطباء يميزون أنواع الحميات صاروا يذكرون لفظ حمى وبعدها لفظ نوعها كقولهم حمى التيفوس وحمى التيفود والحمى الراجعة والحمى القرمزية وهكذا . وهناك أمراض حمية مهمة جداً جرى العرف على ذكرها بدون أن ترافقها لفظة حمى مثل الجدري والحصبة والطاعون .

• تعد الحمى كما قلنا علامة من علامات المرض وتتبع سيراً خاصاً ومدة معلومة لكل مرض ، وتصحبها أعراض أخرى نتيجة تفاعل عام في البنية لمقاومة المرض . واتخذت درجة الحرارة مقياساً لشدة المرض وخفته ، ولو أن بعض الأعراض الأخرى قد تدلنا على خطورة المرض وعدم خطورته أكثر مما يدلنا عليه مجرد ارتفاع الحرارة — وهذه الأعراض

مثل قلة البول وسرعة ضربات القلب والحالة العصبية العامة للمريض ، بأن يكون متنبهاً أو مهتاجاً أو قلقاً أو متناوماً أو هادياً إلى آخره .

• وكما قلنا عن حرارة الجسم الطبيعية نقول عن سير الحرارة وارتفاعها عند المريض . فان بعض الأشخاص ترتفع حرارته بسهولة وغيره لا ترتفع بسهولة ، ويظهر ذلك عند استعمال الطعم الوقائي أو العلاجي فانا نشاهد بعض الافراد ترتفع حرارته ارتفاعاً كبيراً وبعضهم ترتفع قليلاً . وقد لاحظت في الأسرة الواحدة هذه الظاهرة إذ حدث أن عالجت اخوين من مرض حمي واحد ، ومن مصدر عدوى واحد . وكذلك إذا أعطيتهم حقناً من الطعم للوقاية بمقدار واحد ، فتكون الحرارة شديدة عند أحدهم عن الآخر مع تساوي الظروف والاحتمالات . وقد يعمل ذلك بعامل شخصي أو بأن وسائل تكييف الحرارة عند أحدهم أفضل منها عند الآخر . كل هذه وغيرها رءوس مسائل تستدعي البحث ومصر بلد به كثير من الأمراض خصوصاً المعدية والوبائية تستدعي انشاء معهد أبحاث خاص لها لفحصها وتعليمها ، إذ لا يكفي الجهود الشخصي الفردي في ذلك ، لأنه لا بد من تتابع البحث وأن لا يقف البحث بعد موت أحد الباحثين . وفي أمثال هذه المعاهد يكون البحث مستمراً وتسهل طرقه ووسائله لمن يريد أن يشترك في بحث ما ، أو يعطي معلومات قيمة عملاً شاهده ليقوم المعهد ببخذه . لأن البحث العلمي في هذا العصر أصبح عملاً تعاونياً يشترك فيه جملة أشخاص كل فيما يخص له . وقد نوهت عن فائدة هذه المعاهد في تقاريري ومحاضراتي وأشرت بضرورتها وضرورة انشائها ، وأتمنى أن لا يبعد اليوم الذي يوفق فيه أولو الأمر الى انشاء هذه المعاهد في مختلف الفروع حتى يؤدي مصر نصيباً وافراً من الانتاج العلمي الصحيح ، وتساهم في تقدم العلوم والمعارف في العالم فلا تبقى إلى الأبد ، تزود بمعلوماتنا من غيرنا ولا نعطي شيئاً من عندنا . وفائدة هذه المعاهد التعليمية غنية عن البيان .

وقبل أن أنتقل الى نقطة أخرى أرجو أن يعرف الجميع أن كثيراً من أطبائنا قاموا ببحوث قيمة جليلة لا يمكن أن يقلل أحد من شأنها . ولا يزالون يقومون بالكثير منها . فلهم الشكر . ولكن الأفيد والأهم ، هو استمرار البحث . والكفيل بذلك وجود المعاهد الخاصة .

• نعود الى الحمى : عند ما تكون الحمى آخذة في الازدياد أي صاعدة من $\frac{1}{3}$ ٣٧ الى ٣٨ ، وهكذا أيّاً كان سببها نفس ذلك بأن وسائل تصريفها من الجلد أو بالتنفس غير وافية — وعند ما تكون الحمى آخذة في الهبوط من ٣٩ الى ٣٨ الى ٣٧ ، يدل ذلك على أن

وسائل تصريفها من الجلد وافية في خفض الحرارة . وعند ما تكون الحرارة سائرة على وتيرة واحدة أي ٣٩ إلى ٤٠ مثلاً، فهذا دليل على أن وسائل انتاج الحمى ووسائل تصريفها متساوية ، أو بعبارة أخرى أن البنية تكيفت على هذه الحالة .

• وفي الحميات يضطرب مركز تنظيم الحرارة الذي ذكرناه، فتضطرب تبعاً لذلك وسائل تكيفها. والرأي السائد أن أغلب الاضطراب يحصل في وسائل تصريف الحرارة من البنية . إذ المشاهد أثناء الحمى قلة العرق وقلة البول وجفاف الجلد وسخونته ، ولذا يعد ظهور العرق علامة حسنة ، وكذا ازدياد البول ، إذ يُعدّ دليلين على أن البنية ابتدأت تتكيف على تصريف الحرارة الزائدة وعلى تصريف الفضلات المتزايدة في الجسم بسبب الحمى . وفي الحميات يفقد المريض شهية الطعام فلا يتناول غذاءً كافياً لعدم مقدرة جهازه الهضمي على تحمل مجهودات هضمه، فتعیش البنية على ما تحصل عليه من المواد البروتينية والدهنية والنشوية الحيوية glycogen الموجودة في الجسم، كما يحصل في الصيام. ولذا يفقد المريض في الوزن أثناء الحميات المستمرة وأثناء الصيام — وتعد المواد الدهنية مواد مخزنة في الأنسجة الخلوية ، وكذا تعد مادة النشاء الحيوي glycogen مادة مخزنة في الكبد والعضلات، ولكن كميتها ضئيلة جداً بالنسبة للمواد الدهنية . وأما المواد الزلالية Proteines فهي المواد الداخلة في تركيب الخلية، وتعد المادة الحية والحيوية الأساسية في تركيب جسمنا . ويفقد المريض في الوزن بسبب نقص المواد الدهنية والمواد البروتينية ، كما يفقد من قوة بنيته وحيويته على وجه العموم . لهذا السبب تفنك الحميات فتكاً ذريعاً إذا ما أصابت شخصاً منهوك القوى من ضعف التغذية لقمرة ، إذ ليست في جسمه مادة مدخرة ، كما تفنك بمن عندهم ضعف شيخوخي أو أمراض أخرى منهكة للقوى. قلنا أن البنية أثناء الحمى تستهلك المواد الزلالية الحيوية، ويظهر ذلك من تحليل البول، إذ تشاهد فيه ازدياد الفضلات التي تنصرف عادةً معه والتي مصدرها المواد الزلالية وهذه الفضلات مثل البولية الكرياتينية creatinin urea والبوليات والحامض البولي إذ تزيد زيادة واضحة عما تكون عليه في حالة الصحة — لأن في الحميات يزيد التبادل الغذائي الأساسي Basal Metabolism زيادة تقرب من ٥٠ في المئة عن الحد الطبيعي. ولا يمكن في الحميات أن يفسر ارتفاع الحرارة بكثرة الغذاء ولا باجهاد العضلات ، فإن شهية المحموم تكون مفقودة، ولا يقدر على تناول الطعام، إلا ما يصرح به الطبيب من الغذاء الخفيف المناسب لكل حالة ، ولأن المريض يكون ملازماً للفراش بإرشاد الطبيب، وليست عضلاته في حالة إجهاد بسبب ارتفاع الحرارة، كما يحصل عند الأصحاء .

والسبب الذي نفهم به الحمى هو اضطراب وظيفة مركز تنظيم الحرارة بسبب المرض

وان هذا الاضطراب يؤثر على وسائل تصريف الحرارة أكثر مما يؤثر على وسائل توليدها . يتحدثون عن حمى عصبية، والرأي السائد ان سبب الحمى نزلة حلقية خفيفة أو مرض آخر خفيف، لا تظهر له علامات وضادف ظهوره أثناء أحوال تؤدي إلى الاشتباه بوجود حالة عصبية كما لاحظت ذلك ليلة الزفاف في ف عند بعض السيدات . والأمراض العصبية التي تحدث تغيرات عضوية في المجموع العصبي تحدث حمى إذا حصل تغير مرضي في مراكز تنظيم الحمى كما يحصل في أورام المخ واصابات .

• وقد استفاد الطب العلاجي كثيراً من وسائل توليد الحرارة ووسائل تصريفها عند الأصحاء، ومن المعلومات التي نعلمها من تأثير الحمى على البنية ومقاومة البنية للحمى، فقلدها في علاجها وعدّها ونظمها وحتم الراحة التامة ليقبل مجهود العضلات فلا تتولد حرارة زائدة ولكي لا تضعف البنية . وحتم قلة التغذية لكي لا تتجهد أعضاء الهضم وهي ضعيفة بسبب الحمى واكتفى بمواد غذائية سهلة الهضم . وقلد الطبيعة في تصريف الحمى فاستعان في علاجها بالكمادات والتدليك بالكولونيا وغير ذلك .

مأثورات

سمع اعرابي يدهو الله وهو يقول :
هربت اليك نفسي يا ملجأ الهاربين بأثقال الذنوب أحملها على ظهري ، لا أجد شافعاً اليك إلا معرفتي بأنك
أكرم من قصد اليه المضطرون ، وأمل فيما لديه الراغبون ، يا من فتق العقول بمعرفته ، وأطلق الألسن بمحمد
وجعل ما امتن به من ذلك على خلقه ، كفاء لتأدية حقّه . لا تجعل للهوى على عتلي سبيلاً ، ولا للباطل
على عملي دليلاً .

وعن قيس بن رفاعه :

من يصل ناري بلا ذنب ولا ترة	يصل بنار كريم غير غدار
أنا النذير لكم مني مجاهرة	كي لا ألام على نبي وانذار
فان عصيتم مقالتي اليوم فاعتروا	ان سوف تلقون خزيّاً ظاهر العار
لترجمن أحاديثاً ملعنة	هو المقيم وهو المدبح الساري
من كان في نفسه حوجاء (١) يطلبها	عندي فاني له رهن باصهار (٢)
أقيم عوجته ان كان ذا عوج	كما يقوم قدح النبعة الباري
وصاحب الوتر ليس الدهر مدركه	عندي واني لدراك بأوتار

(١) الحوجاء الحاجة (٢) الاصهار ان يهرز الى الصغار يهد ان لا يستتر منه

العالم العربي

الحرية عقار أدوائه



الحرية معنى يقوم في النفس وتثبت فيه أصوله ، فيتحقق في نفس الرجل الحر ، قبل أن ينعكس عن ذلك المعنى أي أثر في الخارج . فإذا لم تقم الحرية في النفس ، انعدمت القدرة على تحقيق شيء من آثارها تحقيقاً عملياً .

لما قامت الثورة الفرنسية في أواخر القرن الثامن عشر ، تلقتها الأيدي المستنيرة من الشعب الفرنسي ، فوضي غامرة ، قضت على كل المثاليات القديمة التي قامت عليها النظامات الفرنسية منذ عهد لويس الرابع عشر . فالنظريات السيامسية والاصول الاجتماعية والقوانين التي قام عليها مجلس الطبقات في فرنسا ، وهم النبلاء والشعب ورجال الكنيسة ، تناولتها معاول الهدم التي عمل بها الشعب الفرنسي في أصول هذه الأشياء ، وفي كثير غيرها .

فلما أراد المستنيرون أن يقيموا البناء الجديد على قواعد مثالية ، وضعوه على أساس الحرية والاختاء والمساواة ، وعملوا على أن يقيموا صرح فرنسا الجديدة بل والعالم المتمدين على هذه المبادئ الثلاثة ، ومضوا يعملون على نشرها ، لا في القارة الأوروبية وحدها ، بل أرادوا أن يجعلوها أساس الحياة السياسية والاجتماعية في غيرها من القارات . غير أن هذا الحلم لم يعيش طويلاً ، فقضت عليه عوامل كثيرة ، كان أعظمها شأنًا انتصار فرنسا في الحروب التي تلت الثورة ، فذاق رجالها طعم القوة ، وأخذوا بنشوة النصر ، ففسدوا تلك المبادئ وراحوا فريسة لفكرة التسلسل : imperialism وكانت تلك النزعة أكبر ما مهد لحكم نابوليون الأول .

هذا سبب من الأسباب العارضة ، أي التي جاءت بالاضافة الى الثورة إسقاطاً وراء ما تملي القوة من صنوف الأيحاء . غير أن هنالك سبباً آخر أعمق بكثير من هذا السبب ، سبب حملته تلك المبادئ التي اتخذت أساساً لبناء العالم الجديد ، وظل كامنًا في تضاعيفها حتى غشى عليها

لقد أراد هؤلاء المستنيرون، وهم بعد واقعون تحت تأثير حكم استبدادي طويل، وانتصار
عاد كل مجده على الشعب الفرنسي وحده دون الملك المستبد، أن يوفقوا بين ثلاثة مبادئ،
واحد منها طبيعي، واثنان خياليان. فالحرية هي المبدأ الطبيعي والآخى والمساواة خياليان.
لهذا عاشت الحرية في أرض فرنسا، ومات الآخى ودفنت المساواة. عاشت الحرية فأُست
في أرض فرنسا أربع جمهوريات على التتالي، وخلقت من ورائها تراثاً مجيداً لم ير الشعب
فيه أثراً خلفه الآخى، أو عرضاً ورثته إياه المساواة.

ذلك بأن التوفيق بين الجوهر والعرض، ليكون لكل منهما أثر صاحبه، أمرٌ يخالف
الطبيعة الأشياء منافع الأوليات التطور الذي تسوق فيه الطبيعة كل شيء في هذا الوجود.
أراد هؤلاء المستنيرون أن يوفقوا بين جوهر ثابت في الطبع الانساني، وعرضين كلاهما
خارج عن طبعه الرئيس، بل هو من خلاق العقل وحده إذ ينزع الى مثاليات، ان لم يستطع
أن يحققها في الواقع، فلا أقل من أن يسعد بها في أمانه.

أقدم بهذه المقدمة لأن ثبت أن الحرية وحدها هي التي استطاعت أن تنقذ فرنسا في كل
الأدوار العصيبة التي مرت على امبراطوريتها النابوليونية وعلى جمهورياتها الأربع، وهي
التي منقذها في محنتها الأخيرة. ولقد استطاعت الحرية أن تخدم فرنسا وهي معنى تحقق
الدلالة في الخارج، بقيامه في نفس الشعب. هذا المعنى خدمه الأدب والفن والعلم والسياسة
والصناعة، وعلى الجملة كل المرافق التي قامت عليها الحضارة الفرنسية خلال قرن ونصف قرن
من الزمان. أنقذت الحرية فرنسا لأنها حق طبيعي يولد مع الانسان ولا يلحد معه، بل
يتركه الانسان لمن هم بعده. حق لا تختلف فيه نظرة العلم ولا الفلسفة ولا الفن ولا الدين.
ومن أجل أنه طبيعي، فهو ككل الأشياء التي تمنحها الحياة للحى العاقل، لا ينبغي أن يسلب
أو يعتدى عليه أو يتنازل عنه بأي حال من الأحوال وبأية صورة من الصور. ولذا كان
الاعتداء على الحرية بمثابة الاعتداء على الحياة ذاتها. لأن حياة الانسان لا يتحقق معناها
إلا إذا تحققت الحرية.

الحرية معنى يقوم في النفس وتثبت فيها أصوله فيتحقق في نفس الرجل الحر، قبل أن
ينعكس عن ذلك المعنى أي أثر في الخارج. فإذا لم تقم الحرية في النفس، انعدمت القدرة
على تحقيق شيء من آثارها تحقيقاً حقيقياً، ورجع الانسان الى الدرجة التي لا يتحقق له
فيها الا الحرية الحيوانية الصرفة كحرية التنقل أو الاغذاء. وهو ضرب من الحرية يشاركه
فيه كل صنوف الحيوان، فلا يكون للانسان الذي يرضى بذلك الضرب من الحرية أي

معنى انساني ، ولهذا ينبغي قطعاً أن نعتبر الشعوب التي ترضى بذلك الضرب من الحرية ، سواءً يرضيها أن تشبع شهواتها الحيوانية دون شهواتها العقلية والنفسية . وإذا فلا يشملها معنى الحرية التي نقصد الى الكلام فيها .

يشارك الانسان كل الاحياء في صفة الحياة . ولكنه يتميز عليها بأنه « عاقل » . ومن طريق مشاركته للاحياء في صفة الحياة يتحقق له ذلك الضرب من الحرية التي هي للحيوان . اما صفة أنه عاقل فتحقق له ضرباً آخر من الحرية له صورته المختلفة . وهذه الصور هي التي ينبغي على كل فرد من أفراد العالم العربي باعتباره عالماً تجمع بين أهله أطعام وميول ومشارب ووراثات واحدة تقريباً ، أن يحققوها في أنفسهم ، حتى يسعدوا بأنارها الجليلة . ولا شك عندي في أن تحقيق معاني هذه الصور ، كافٍ في ذاته ومن غير مجهود كبير ، أن يرفع عالم العرب إلى قمة الدنيا ، وإن كان تحقيقها في ذاته مجهوداً ، مهما عظم ، فانه لا يستكثر على شعوب لها ذلك الماضي العظيم .

لا نطلب تحقيق الحرية في النفس لأن الحرية حق طبيعي للانسان العاقل ولأنها تقرن دائماً إلى الحياة ذاتها . وإنما نطلب ذلك أيضاً ، لأن الحرية إذا تحققت في نفس الفرد ، استطاع بذلك أن يعمل على تحقيقها عند غيره من أفراد الجمعية . وهي فوق هذا وذلك واسطة مجدية فعالة في صب العقلية الفردية في قالب ينزع بها دائماً وفي كل الحالات إلى التمسك ، ووزن الأشياء بميزان ذي كفتين ، فلا يميل إلى إحداها كل الميل ، ولا يطفف في تقدير ماله وما عليه ، فيلزم دائماً حد الاعتدال ، فلا ينجح آونة إلى الافراط وأخرى إلى التفريط ، فنفته أواسط الأشياء ، وهي في الأخلاق الفاضلة حد السعادة وحد الخير ، كما يقول ارسطو طاليس ، سيد الاخلاقيين .

والحرية وتحقيقها في النفس شيء ، وقبول ما يترتب عليها من الآثار شيء آخر . فإذا عجزت الحرية عن رياضة العقل والنفس على قبول الحقائق وأن آلتها لأول صدمة ، كما قال أحد الفلاسفة ، قصرت الحرية الفردية عن أن يكون لها ذلك الأثر المطلوب الذي ننشده في حياة الجماعة ، وأصبحت الحرية كفاية فردية لا يتعدى أثرها حياة الفرد . وإنما تحقق الحرية رسالتها الخالدة ، إذا انعكست آثارها من الفرد إلى المجموع ، وكوّنت جواً تنطلق فيه العقول من كل التقاليد التي أسرتها وكبتت نزعاتها عن الانطلاق في آفاق الفكر البعيدة الانهائية .

والحرية إذا تحققت في النفس وريض العقل على قبول محتملاتها ، قبلت بسماحة إبداء كل رأي وتمحيص كل فكرة والمناقشة في كل نزعة من النزعات المتباينة التي تنعكس عن صور

الفكر ، وصور الفكر غير محدودة ولا نهائية . وأنت إذا بحثت في أسباب الشقاق الذي يعم العالم آثاره ، وصنوف البغض والكراهية والحسد ، تلك التي تجمع الإنسانية وقسمتها خلال كل العصور عن الانطلاق في آفاق العمل المجدي ، فنتجت بأن قصور النفس عن قبول ما يترتب على تحقيق الحرية فيها من الآثار العقلية وإخراجها إلى حيز العمل ، هي كل السبب فيما نرى ورأينا ، وفيما سوف نرى من انقلابات داوية ، ستظل الإنسانية تدور من حولها في دائرة نجسة

كتب الفلاسفة والمصلحون ما كتبوا متتبعين خطى التقدم التي خطتها الإنسانية منذ أقدم العصور ، وقال بعضهم إن الإنسانية تنتظر عصراً ذهبياً تزهو فيه الحضارة . وقال البعض الآخر إن ذلك العصر قد مرّ منذ آلاف السنين ، وإن الإنسانية الآن تنحدر ، أو هي على الأقل واقفة تدور من حول تلك الدائرة النجسة . واعتمد الأولون على ما رأوا من تقدم مادي ، واستند الآخرون على ما رأوا في التاريخ من انتكاس كل مبدأ مثالي إلى نقيضه ، في كل محاولة طمعت من طريقها الجماعات في الخطو إلى الأمام . السبب في هذا كله أن الإنسان لم يحقق الحرية في نفسه ، ولم يهيئ لها جوّاً عقلياً تبرز فيه آثارها المحققة في النفس .

من هنا يظهر لنا جلياً أن رياضة النفس على تحقيق الحرية وقبول آثار ذلك ، إنما هو أساس الإصلاح الاجتماعي بمرته . لو أن هذا المبدأ كان محققاً لما سقطت الحضارة الإنسانية تلك السقطات التي جرّتها إلى الحروب الدينية والخلافات الذهبية التي لا طائل تحتها ، والتي كبلت أيديها وأرجلها بتلك القيود التي صدت الجماعات عن التفاهم على أبسط الأشياء . أشياء قبلتها عقول الأفراد ونبذتها عقلية الجماعات ، تلك العقلية التي ظلت وستظل عهداً طويلاً مسرحاً لتلاعب أنصار الدكتاتورية والطامعين في السلطان والعاملين على استعباد الأحرار ، كل هذا ليجعلوا الإنسانية تدور من حول تلك الدائرة النجسة ، فلا تغلب الجماعات من أيديهم ، فتنتطلق في آفاق الحرية الواسعة .

إذا اعتقدنا بأن الحرية حق طبيعي ، استطعنا أن نحقق معناها في أنفسنا ، وإذا حققنا معناها في النفس ، تسنى لنا أن نقبل ما يترتب عليها من الآثار . وأثرها الأول تحقيق حرية الأديان . فلكل إنسان أن يتدين كما يشاء وأن يعبد إلهه بالطريقة التي يختارها . فلا إكراه في الدين . والدين طريقة اتصال بين الإنسان وخالقه . فلكل فرد من الأفراد أن يختار تلك الطريق بمطلق حريته . وأثرها الثاني حرية الفكر . فالحرية الحقيقية تمنع النياس والحكومات وأصحاب السلطان من أن يعاقبوا فرداً على رأيه ، مهما كان مخالفاً لآرائهم ، ومهما كان فيه من منابذة التقاليد . وإن تتحقق هذه الحرية إلاّ بأن يأمن كل إنسان على حياته وماله وعيشه .

وذلك من واجب الجمعية التمدينية أن تتمكن به . وأثرها الثالث حرية القول . فإن قنع الفكر عن الاتصال بالجو القائم من حوله ، قنع للحرية ذاتها ، وتعطيل لمعنى الحرية في أبرز صورها .

أما إذا حقق العالم العربي هذه الحريات ، فانه ولا ريبه يتربع على قمة الدنيا ، ولا جدال في أن وحدة العالم العربي ينبغي أن تقوم على الحرية . لأن اشتراك المرافق بين أجزاء هذا العالم لا تكون مناسطاً للوحدة ، إذا فطرنا فيها نظرة ضيقة الحدود مقصورة على التبادل المادي . ان هذه المرافق ولا شبهة تكون موضعاً للنزاع والنفرة أكثر منها سبباً للألفة ، إذا لم تقم من ورائها عقلية حرة تزن مصالح الشعوب العربية على أماس من التمسح ومغالبة الأهواء .

لقد زعت الشعوب العربية الى الأخذ بمبدأ الديمقراطية في الحكم . وهو مبدأ له هفواته . ولكنه على كل حال أقل صور الحكم هفوات ومفاسد . هو الحد الممكن من الحكم الصالح بلغ اليه الانسان . ولكن كثيراً من هفوات هذه الصورة من الحكم ، ولا شك تنعدم إذا رضنا أنفسنا على الحرية بمعانيها التي أسلفنا القول فيها . فرجال الحكم قبل غيرهم ، ينبغي أن يكونوا رجالاً حققوا في أنفسهم معنى الحرية ، وراضوا عقولهم على قبول ما يترتب على ذلك من الآثار ، ونصبوا أنفسهم أمثلة حية ، فيقتدي بهم الناس . ينبغي أن يكونوا القدوة العليا ، فلا ينصرفوا إلى المعنى الأدنى ، معنى التحكم السياسي ، مقنعين عن الانصراف إلى المعنى الأسنى ، معنى الحرية .

ولقد قضى علينا مذهب الحكم الديمقراطي أن توسع من مجال تلك الدائرة التي يخرج منها السياسيون ورجال الحكم ، وكلما اتسعت تلك الدائرة قلت المواهب العليا التي تتجه مطامعها الى الإصلاح الحقيقي من طريق الحكم . على أنه من المستطاع القضاء على هذه الظاهرة إذا نحن زعنا إلى الحرية وحققناها في أنفسنا ، وقبلنا آثارها المترتبة عليها . فإن في ذلك الضمان السكلي لقيام حكم ديمقراطي يهيء الطريق إلى مستقبل تستقر فيه الجمعية العربية على قاعدة روحانية سامية ، والشرق مبعث الروحانيات .

في القرن التاسع عشر طغت على أوروبا موجة من السياسة رجّت أساس الحضارة ، وبلغت من التأثير في النظام الاجتماعي مبلغاً أزعج المفكرين . قال اناتول بوليو^(١) (١٨٨٥) : - « كلما اتسع المحيط الاجتماعي الذي ينشأ في نطاقه السياسيون وكبار رجال الدولة ، زل

مستوهم العقلي . وهذا الانتكاس أئين في أخلاقهم ، منه في أية ناحية أخرى من صفاتهم . فزعت السياسة الى الفساد والتدهور ، حتى لوئت كل الأيدي التي انغمست فيها ، وكل الرجال الذين اعتمدوا عليها في الحصول على معاشهم . ولقد أصبحت المعارك السياسية من الرارة والوقاحة ، بحيث صدت الطبائع النبيلة المستقيمة عن التصدي للسياسة بعنفها ودسائسها . وقد أظهرت الطبقات المنتقاة في أكثر من أمة ، ميلاً إلى الترفع عنها . والسياسة ولا شك تجارة ان أردت أن تنعم بها وتسعد في ظلها ، فينبغي أن يكون لك من الذكاء والمعرفة ، أقل مما لك من الجرأة والقدرة على الدس . ولقد أصبحت السياسة في بعض الدول من أكثر مهن الحياة شيناً وقذارة . وما الأحزاب إلا نقابات للاستغلال ، فأضحت وسائلها ، أقل شعوراً بالخلجل . كنت جالساً إلى المائدة ولورد غراي أوف فالدون من الضيوف ، وأثير سؤال في السياسة وهل هي مهنة شريفة ؟ فقال لورد غراي على الفور — « انها تجارة خسيسة » ونقل الأسقف كرايتون عن لورد برايت انه قال — « لو علم الشعب أي صنف من الناس هم السياسيون ، إذن لهب من سباته وأقصاهم أجمعين » . ونقل أن كونت كافور قال — « أي ضرب من المجرمين نكون ، إذا نحن فعلنا بأنفسنا ، ما نفعل اليوم بإيطاليا ؟ »

قيل هذا في عصر كان فيه للقوانين الدولية بعض الوزن ، وكان للأخلاق فيه بعض القيمة ، وكان الشعور بالمسؤولية وبالخلجل ، من العوامل التي لها بعض الأثر في سياسة الدول . أما وقد انحدر أهل المدنية إلى ما رأينا في الحرب العظمى الأولى وفي هذه الحرب ، من الاستهانة بالحقوق العامة وبالحقوق الخاصة ، فلا شك في أن الاطمئنان الى السياسة في تحقيق ما تصبو اليه أمم سلبت حقوقها الطبيعية ، يكون شذوذاً لا تسوغه طبيعة الأشياء . كل هذه الخبائث إنما تنشأ في جو لا تتحقق فيه الحرية في أنفس الأفراد . ولقد طانى العالم كله من آثارها الأمرين ، وفقد من قواه ومن ثروته ومن جهوده ما لو بقي لنا بعضه لحقق لنا عيشاً أسعد وحياة أمتع وأرغد ، ولتسمنت به الانسانية ذروة الحضارة العليا . حضارة يتحقق فيها السلام والانصراف الى العمل المجدي . حضارة حرة ، قوامها أمم حرة .

هذا ما ينبغي أن نحققه لأنفسنا . ونعني « بأنفسنا » عالمنا العربي ، « حزام الدنيا » من حدود بحر الظلمات إلى تخوم الصين ، ومن شواطئ البحر المتوسط إلى شعاب افريقية الوسطى . إذا حققنا ذلك ، حققنا معه حلم العظمة والسيادة داخل تخومنا ، حلم أن بلاد العرب للعرب .

لحظة الصفر

قصة عن بوريس جورباتوف

Boris Gorbатов

« لا خوف ولا اضطراب في قلبي ، ولا رجعة عندي للمدور .
هنا الحقد في صدري . الحقد العميق الناري الانفاس . ان قلبي
ليشتعل . هذه ممركتنا الى الموت . هنالك اذهب »

وعلى الرنب وفوق الخنادق ومواقع قذف
النار ، خيم سكوت رهيب . سكوت في
تضاعيفه العاصفة . السكوت الذي يسبق
الموقعة .

كنت مستلقياً في الخندق ، وقد
أخفيت مشعلي الصغير بطرف ردائي المبلل
لا أكتب اليك هذا كذلك كان الملايين
من المحاربين مثلي منتشرين من محيط الجهد
الشعالي إلى البحر الأسود ، يستلقون كما أنا
مستلق ، وفي نفس هذه الليلة ، وعلى الأرض
المرطوبة ، ينتظرون تنفس الصبح والهجوم ،
يفكرون في الحياة وفي الموت ، وفي ما
ينتظرهم من حظ .

أيها الرفيق ! ان كلاً منا يريد ان يعيش
طويلاً . وأنا أريد أن أعيش ، وأتنفس
وأكون قادراً على المشي ، وأرى السماء من

أيها الرفيق ! لقد قرىء علينا الأمر
الآن . في الفجر منكون في الموقعة . سبع
ساعات حتى الفجر .

كان الوقت ليلاً . وبعيداً فوق الرؤوس
تلاّات الكواكب . خيم السكون . كان
قصف المدافع قد سكن . وأغفى جاري
اغفاءة هنية . وفي ركن من الأركان، انبعث
همسٌ ما . هنالك المراقب يمر الى أحدهم
كلمات .

في الحياة فترات من الصمت لها طابع
عجيب ، ومن المتعذر أن تُسمى .

ويوماً ما سأذكر هذه الليلة — ليلة ٣٠
اكتوبر سنة ١٩٤١ . سأذكر القمر وهو
يفساق على منحدرات « الدّون » وقد بدت
النجوم مرتعشة ، كأنها أصابتها السُّبرداء .
سأذكر كيف أغفى زميلي وراح في نوم عميق،

صاح به أحدهم اعتدل . قوم كتميك
وردها الى الورداء ، أيها الرفيق . انك في
عشيرتك .

رأيت ، كما لو كنت أرى في صفحة جلية
واضحة ، ما هو مقسوم لي . حياة بظهر
مكسور ، ثم الاسترقاق والعبودية .

أيها الرفيق ! خمس ساعات قد بقين ثم
يتنفس الصبح . بعد خمس ساعات أكون في
غمار الموقعة . كلاً ليس من أجل تلك الربوة
التي أمامي سوف أحارب الفاشيين . كلاً .
ستكون الحرب لاغراض أعظم وأضخم .
ستكون الحرب من أجل من سوف يكون
المتصرف في مصيري : هتلر أم أنا ؟

حتى هذه البرهة يتصرف كلانا — أنت
وأنا — في مصير نفسه ويتسود عليه . ونحن
إننا نختار نوع العمل الذي نعمل ، والصناعة
التي نتعلمها ، والوظيفة التي نشغلها ، ونزواج
من المرأة التي نحبها . أمة حرة في أرض حرة .
إنما ننظر للمستقبل بشجاعة وبطولة . المملكة
كلها أم لنا جميعاً . في كل بيت أصدقاء
ورفاق . وكل وظيفة من وظائف العمل
محترمة مبعلة ، والعمل في ذاته بطولة ومجد .
لقد علمت ان كل طن من القمح نخرجه من
باطن الارض ، فيه الشرف والصيت والكفاء .
وكل أردب من القمح يحصد ، يضاعف من
ثروتك ، التي هي ثروة أسرتك .

ولكن ! لقد أتى الفاشيون . سيصيحون

فوق رأسي . غير أنني لا أريد أن أعيش
أي لون من ألوان العيش ، فليست ممن يهجم
أن يعيشوا وكفى — وأن يوجدوا وحسب .

في الليل الماضي زحف رجل الى خندقنا
آتياً من « الضفة الأخرى » . لقد هرب من
الفاشين . قدم زاحفاً بساقين واهيتين
وذراعين انتزع عنهما الجلد وسالت الدماء .
فلما رأنا ، نحن أهله وعشيرته ، طفق يبكي ،
ومضى يشد على أيدينا ويهزها ، وكأنه
أراد أن يعانق كل من لاقاه . كان وجهه
يخجل ، وشفتاه تهتران ، فأعطيناه بعض
الخبز والزبد والطباق . فلما فرغ من وجبته
هدأ روعه وأخذ يقص علينا ابشع القصص
عن الألمان . حدثنا عن السلب والتعذيب
والمرفقة . فلما سمعناه أخذ دمننا يغلي ، وقلوبنا
زداد خفقاً .

رأيت ظهر الرجل . ثبتت عينا في
فلم تريا شيئاً آخر كأنهما قد علقنا به .
لقد كان منظره أبلغ من كل كلام .

كان قد مضى شهر ونصف شهر على هذا
الرجل تحت سلطان الفاشيين ، فتقوس ظهره
كما لو كان فقاره قد كسر ، أو كأنه أجبر
على أن يمشي منحنيًا نحو الارض ، أما
عضلات ظهره فكانت تمتد وتنكمش ،
كأنما هي تترقب توالي الضربات القاسية .
كان منظره ينم عن أنه رجل سلبت ارادته ،
أو أنه رقيق مستعبد .

لا يريدون إلا دواب خاملة من دواب الحمل .
وسوف يساق ابنك تحت سلطان الفاشيين ،
نامياً طقوله وفموته ومستقبله .

كثير ما دألت ابنتك الحبيبة وأحبتها
بغنايتك . كم مرة حنوت عليها وأشفت بها
وانحنيت فوقها أنت وزوجك وهي في غفوتها
الملائكية ، وحلمتها بسعادتها . ولكن الفاشيين
لا يرغبون في بنات روسيات لطيفات جميلات .
يردنهن في بيوت الدتارة ليكن متعة لذوي
القمصان السم من أبنائهم . أترضى بأن
تكون موضع نحر ك ومحل أملك ... ابنتك
« مارنكا » ، حمامتك المحبوبة بغياً .

أنت تفخر بزواجك . كل من في القرية
يحبها ويحترمها ... أو كسانا الجميلة . كلنا في
حسدك عليها سواء . ولكن في العبودية
لا يكون للنساء اختيار . انهن يكبرن قبل
الأوان . ان زوجتك « أو كسانا » مستباح
عجوزاً شطاة مقوسة الظهر .

أنت تبجل والديك . ألم يكونا السبب
في انك وجدت وريث ونشأت ؟ وأرضك
هذه ! ألم تعاونك على أن تهني لها حياة
مسيعة هنية هادئة ، وشبخوخة شريفة
محترمة . ولكن الفاشيين لا حاجة لهم بمجائز
الروس . فالعمَّرون لا يعملون ، إذا ينبغي
أن يموتوا جوعاً ، ولهذا فسوف لا يعطون
والدتك شيئاً من القوت الذي تحصله بك
ساعدك .

المقدَّرين لحظك ونصيبك في الحياة . سيحطمون
يومك ، ويسلبون غدك . سيتحكمون في
حياتك وسكنك وأمرتك . سيطردونك من
بيتك . نعم وسوف تطرد مقصوم الظهر ،
طاوياً تحت المطر ، ملقى بك في الأوحال .
نعم . قد يسمحون لك بأن تعيش . ذلك بأنهم
في حاجة إلى دواب الحمل . سوف يستعبدونك .
ولسكنك ستكون عبداً مهيض اللبن مقوس
الظهر . ستحصد أردب القمح . ولكنه
سيذهب اليهم وتنفى متصوراً من الجوع .
وستخرج الطن من الفحم . غير أنهم
سيستولون عليه صارخين : « أيها الخنازير
الروس : انكم لا تحسنون العمل » . ستظل في
أعينهم دائماً ذلك الروسي الخفير : حيوان
من نوع أخس . سيحملونك على أن تنفى
لغتك ولغة آباءك . اللغة التي حلت بها
ورأيت فيها رؤاك . اللغة التي عبرت بها
عن حبك لمن أحببت . سيحبونك على أن
تتكلم لغتهم ، وسوف يهزأون بك وأنت
ترطن بلغة أجنبية بعيدة عنك .

الفاشي ١١

سيطأ بقدمه أحلامك ويُسقى على آمالك .
انك قد أمَّلت وحلمت بأن ابنك إذا كبر
واسترجل فسيكون طالماً ، أو مهندساً ذا
خطر وقيمة . ولكن الفاشيين لا حاجة لهم
بعلماء من الروس ! ألم يجمعوا علماءهم أنفسهم
في قطمان أو دعوا محلات الاعتقال ؟ انهم

تذكر أيامنا قبل الحرب . لقد ظلّ جيلنا
هذا وميض الحرب مصلت من فوق رأسه .
عشنا وعملنا ودللنا زوجاتنا وربينا أولادنا .
ولكن لا يجب أن ننسى أن كل هذا إنما
كان من أجل دقيقة واحدة . هنالك في
الناحية الأخرى من تخومنا يحتم وحش
مفترس يستعد لمضغنا ، فيشجذ أظافره ويحدّ
أنيا به السامة . لقد كانت الحرب جارنا
القريب . كانت أنفاس الأفعى المجلجلة تسمم
حياتنا وجهادنا ، بل وحبنا نفسه . غمنا
فزعين . وانتظرنا :

هاجمنا الوحش . بات في أرضنا . تدور
الآن أقصى المعارك وأنكى الوقائع . حرب
إلى الموت . والفهم مستحيل فلا اختيار إذن .
فلنطعن ونقوض كل قائم لنقضي مرة واحدة
وإلى الأبد ، على الوحش الهتلري . وحتى
يشوى آخر فاشي في قبره العميق ، لن ينكشف
عن صدرنا ذلك الكابوس الذي يغشانا . ثم
هدوء شامل . هدوء لا يتخلله جلبة . هدوء
النصر ، سيظل رؤوسنا . وهنالك سوف
نسمع ، أيها الرفيق ، لا حفيف أشجار الغابة
المرحة الجميلة وحده ، بل سوف نسمع العالم
يرسل أنفاس الراحة ، ويشم هواء الأمل .
سوف نسمع أنفاس الانسانية تتردد هادئة
ومنانة .

سوف ندخل المدن والقرى المحررة
يرحب بنا السكون الشامل — سكون قلوب

قد يتفق أن تحتل كل هذا ، فلا تموت .
غير أنك ستصبح خاملاً متواكلاً تعيش
عيشاً كله عماء وجوع وحزن .

اني لأرفض أن أعيش هذا العيش .
كلّ . لن أحيأ هذه الحياة . لأجدر بي أن
أموت من أن أوجد هذا الوجود . أفضل
عندي جربة في صدري ، من قيد في عنقي .
كلّ أخسق بي أن أموت شجاعاً ولا أعيش
عبداً ذليلاً أو جباناً حقيراً .

أيها الرفيق ! ثلاث ساعات بقيت قبل
أن يتنفس الصبح . ان مصيري في يدي .
مصيري كائن في ميناء حربي المرفأ .
مصيري ومصير أسرتي ووطني وقومي .
أيها الرفيق ! ساعتان قبل أن يتنفس
الصبح .

تطلعت خلال الظلام بعيني رجل شعر
بأقتراب الموقعة وترقب الموت ، فنظر بعيداً
واخترق الحجب . ومن خلال ليالي طوال
وأيام أطول ، بل ومن خلال شهور أنظر
أمامي ، ومن فوق جبال من الأحزان والآلام ،
فأرى النصر مائلاً . سوف نناله . سنخوض
إليه أنهاراً من الدماء ممزوجة بالحزن والأسى
والعذاب . سنخوض إليه مآسي الحرب
ودواهيها . ولكننا سنصل إلى النصر ، إلى
النصر الحاميم الفاصل على العدو . لقد قامينا
من أجله واحتملنا كثيراً . سوف نفوز .

أعيش لا كون عبداً . ذاهب من أجل سعادة أولادي . من أجل سعادة وطني ، أبي الكبري . من أجل سعادتي . إني أحب الحياة . وسوف لا أبددها . إني أحب الحياة . ولكنني لا أرهب الموت . إني أفهم من الحياة أن أعيش شجاعاً ، وأموت شجاعاً

الفجر ! !

بدأت المدافع السريعة تجلجل . وسمتار النار سوف يفتشر . وبعد برهة نذهب في الغمرات .

أيها الرفيق ! من فوق هضاب «الدون» التي هي هضابي ، أرسلت الشمس أشعتها الذهبية . شمس المعركة .

واني لأقسم أيها الرفيق بحق جلالها إني سوف لا أراجع . فإذا أصابني مكروه فسوف أموت في الصفوف . وإذا أحيط بي فسوف لا أسلم نفسي . لا خوف ولا اضطراب في قلبي ، ولا رحمة عندي للعدو . هنا الحقد في صدري ، الحقد العميق ، الناري الأنفاس . إن قلبي ليشتمل . هذه معركةنا إلى الموت .

هنالك . أذهب

شملها الفرح والسرور . هنالك سيرتقع الدخان مرة أخرى من مداخن المعامل المشيدة — هنالك الحياة ، سوف تدب مرة أخرى . حياة سعيدة كاملة أيها الرفيق . حياة عظيمة ثمينة في دنيا حرة . حياة تسودها أخوة الشعوب .

من أجل تلك الحياة يهون الموت . إنه لن يكون موتاً . إنما هو الخلود .

أخذ الصبح يتنفس أيها الرفيق . صبح خجول أسمر الإهاب . بدأت الأشباح تبتين لم تلح لنا الحياة من قبل في ثوب أبهج . انظر كيف تبتسم هضاب الدون أمامنا . انظر كيف تلمع التلال الطباشيرية تحت أول شعاع يشق الأفق ، كأنها جبال من فضة .

نعم . أن للحياة قيمة ما . ولكن قيمتها في أن نرى النصر كيف ينال ، إذ ذاك أضمر رأس ابنتي الصغيرة إلى صدري بين ثنابا معظفي الكبير ، راضياً رخي البال . إني إنما أعيش من أجل أغراض كثيرة . ولذا فأنا ذاهب الآن إلى المعركة . سأحارب لأجل الحياة . ذاهب من أجل حياة طيبة أيها الرفيق ، ولن

الضمان الاجتماعي

مشروع بيفردج من ناحيته

التاريخية والاجتماعية



ما هو الضمان الاجتماعي؟

الضمان الاجتماعي عند السير وليم بيفردج هو النظام الذي يتحقق للجمعية البشرية بالقضاء على خمسة صمالة هي : الخاصة أي الحاجة ، والمرض ، والجهل ، والقدارة ، والتعطيل أي الكسل . وعلى هذا فلا يتحقق الضمان الاجتماعي مادامت هذه الصمالة تسيطر على الحياة الإنسانية .

لما نشبت الحرب الأخيرة واشتبكت فيها أكثر شعوب أوروبا ، وقضت النازية والفاشية ، إلى حين ، على حضارة كثير من الأمم الصغيرة التي كانت تعيش في بحبوحة من العيش في ظل نظام ديمقراطي ، وساد الفقر جماعات كانت تعد من أغنى جماعات الإنسان وأقدرها على رفع مستوى الحياة ، وانتشرت الأمراض الجناحة ، وتعطلت دور العلم عن أداء رسالتها ، شعر سوّاس الانجليز ، وكان لهم أكبر الحق في أن يشعروا بحرارة ، أن العالم مقبل على انقلاب خطير سوف يتناول أساس نظامه الاقتصادي الذي تقوم عليه كل مرافق المجتمع ، وأن الضمانات التي كفلها هذا النظام في الماضي ، لن تصلح لكفالة نظام اجتماعي ذي استقرار في المستقبل ، أي في العصر الذي يلي انتهاء الحرب وعودة السلام . لهذا عهدت الحكومة البريطانية في شهر يونية سنة ١٩٤١ إلى سير وليم بيفردج أن يبدلي برأيه في علاج الحالة الاجتماعية التي سوف تترتب على الحرب الحالية ، فوضع تقريره المعروف ، الذي أصبح اسم بيفردج علماً عليه .

لم تكن هذه الحرب السبب المباشر لقيام هذا الشعور عند سوّاس الانجليز ، وإنما كانت حافزاً لهم على التفكير بجد في حالات اجتماعية ، كانوا يشعرون بأنها كائنة ، ولكن معالجتها لم تكن عاجلة . وهم بذلك إنما يكررون نفس الخطأ الذي وقع فيه الكثيرون من قبلهم .

يكرّرون الخطأ الذي وقع فيه لويس السادس عشر وحكومته في فرنسا ، والخطأ الذي وقع فيه القيصرية الروسية في أثناء الحرب الماضية ، فأدّى إلى هزّات عنيفة وثورات ، كان من الممكن أن توفر على الإنسانية ما حملتها من فوضى ومن دماء ، لو أن ساسة الأمم قد بصروا بشيء من حقائق التطور القائمة من حولهم ، ونظروا لأبعد من أفوفهم قليلاً ، ليدركوا أن ما تقضي به طبيعة الحياة لا بدّ من أن يكون . ولعلّ ساسة الانجليز في هذا العصر قد افتقروا بتجاريب الذين سبقهم من السياسيين في مختلف الأمم ، فبادروا إلى وضع الشيء في موضعه ، فعمدوا ببحث أدواء المجتمع إلى رجل لم تسيطر عليه السياسة ، ولم تقوّر في عقله مآخطاتها ، فشقّ الطريق القويم إلى الغرض الأسنى ، وبحث المشكلات القائمة بعقل غير مدخول بأي اعتبار اللهم إلاّ اعتبار أن الجمعية الانسانية تتطوّر ، وإن نظرتها في الحياة تتسامى ، وإن من حق كل فرد من أفراد الرعية أن يتخلص من حماقات الماضي التي سببتها سياسة أطلقت على الجماعات تلك العماقة الخسنة ، وأفردتها بالتصرف في مصاير الأمم .

لا أبالغ إذا قلت إن هذه هي المرة الاولى ، لا في انجلترا وحدها ، بل وفي جميع بقاع الأرض ، تنازل فيها السياسيون من عليائهم ، وأخضعوا كبرياءهم للاحقائى . ذلك بمعنى أن الحكومة الانجليزية لم تعهد بهذا البحث إلى السياسيين المحترفين ، بل عهدت به إلى رجل اجتماعي درس الاجتماع من نواحيه القصية . درسه من حيث تطوره واقتصاده ونتاجه وقدرته على العمل ، فخرج من ذلك بآراء أصبحت دستور الاصلاح الاجتماعي في جميع بلاد العالم . دستور ضرب بمعول باتر في أصول الكثير من المنظمات التي خيل للسياسيين منذ عهد قريب أنها أبدية ، وإن الجمعية الانسانية قد وصلت في ظلالها إلى طابع من المدينة لن يتبدل .

كان من خطأ السياسيين في الماضي عقوقهم للعلم ، فاستأثروا بالرأي في كل ما يتعلق بالأمم من الأشياء التي يحسنونها والتي لا يحسنونها ، وتاريخ القرن التاسع عشر ، ناهيك بما قبله ، وتلك العقود التي سلخناها من القرن العشرين ، أكبر شاهد على هذا العقوق . كبر عليهم أن يستعينوا بالعلم والخبرة العلمية والنظر النافذ في حالات التطور التي تصيب الجمعيات في معالجة المشكلات المدنية ، فطاحوا بالكثير من مصالح الأمم ، وأوقعوا الشعوب في مأزق عصرهم عصرآ ، وتركهم طفلاً بغير لبّ . وقد تناوبت هذه الحالات على شعوب الأرض المتمدنية المرة بعد المرة ، حتى ساد الناس شعور بالقلق والامتعاض والحاجة إلى الاصلاح الواجب ، وأفعيم جو المدنية بشعور عميق بأن عصرآ من عصور المدنية قد آن اختتامه ، وأن الانسان يستقبل عصرآ جديداً .

إن الحكمة التي أبدأها مؤسس الانجيز في أن يعمدوا يبحث أسباب ذلك القلق الاجتماعي إلى رجل اجتماعي خبير ، هي نفس الحكمة التي ينبغي أن تعمل على كل الحكومات أن تعمدوا يبحث مختلف قضايا الاجتماع الى الذين يحسنون بحثها بروح الحرية والاستقلال . ولو أن السياسيين قد شعروا بأن سيطرتهم على كل مرافق الأمم لمجرد أنهم سياسيين ذوي سلطان ، لا تستوي ونشدها الحقيقة التي لا يمكن بدونها أن يكون اصلاح ثابت ، إذن لمضت الانسانية تضرب في سبيل التقدم بقدم أثبت وخطى أوسع

نشكو في بلادنا هذه من الفقر ومن الجهل . فهل عهدنا بعلاج ذلك إلى الأيدي التي تحسن علاج الفقر والجهل ؟ ونشكو من المرض ومن التعطل ! ثم ماذا . ينبغي على رجال الحكم عندنا أن يقتدوا بما فعل الانجيز ، فلقد كانوا في ما فعلوا قدوة حسنة . وكل البلاد تشكو مما نشكو منه ، وربما كانت شكوى غيرنا أبلغ من شكوانا وبلوانا أعظم من بلوانا . ولكن المخرج من ذلك في أيدينا وأيديهم . ذلك بأن يعمدوا في بحث هذه العضلات الى من ينظرون فيها نظراً حراً مستقلاً بعيداً عما تعمل السياسات على اختلاف نواحيها وعلى متباين نزعاتها . ينبغي أن يعمدوا الى رجال تحرروا من الأغراض ومن الشهوات !! ونشدها الخير العام وحده لا شريك له .

إن الأغراض التي يرمي اليها الضمان الاجتماعي هي بذاتها الأغراض التي نشدها الانسان من أقدم العصور . هي البسادة التي حاول أن يطبقها منذ إن كانت له مدنية . وما تلك الجهود التي بذلها وتلك المتاعب التي أنفقها في سبيل الحضارة سوى صور تشبكت فيها نزعة نحو الكمال المدني . نزعة تلك هي التي شيدت معابد الكلدان ومصر وهي التي أقامت مدارس أثينا والاسكندرية وجامعات أوربة ، وهي التي حفزت الى النهضة في القرون الوسطى ، وهي التي تدفعه الآن دفعاً نحو خطوة أخرى تدنيه من الكمال المنشود . غير أن مختلف تلك الجهود ، إن كانت قد أسهمت به إلى الطريق السوي ، فإن خطواتها كانت وئيدة بطيئة ، لكثرة ما انتابها من تضارب النزعات والميول وتحكم الشهوات . ولعلنا لا نخطئ إذا قلنا إن كل خطوة خطاها الانسان نحو ذلك الهدف ، تبعها انتكاس أودى بها في أكثر الظروف . ذلك بأن علم الانسان لم يكن قد شمل بعد مرافقه الاجتماعية ولم يكن قد تغلغل في البحث عن الأسباب التي تؤثر في ضمير الجماعة ، فشئ الانسان في طريق مظلم معتم ، ومضى يتخبط متبعاً وحي كل هاتف يهتف به ، متلهفاً إلى ما يخيّل إليه أنه يدنيه من مثالياته التي نشدها .

إن روح الانسانية ظلت في خلال العصور تنشده الكمال ، وكل العصور الاجتماعية التي توالى على البشر ، ما هي إلا ثمرة تلك الروح المشبوبة القوية المتوثبة . روح سبيلها النفس

والعقل، وغريزة التطلع الى ما هو أسى. ولكن الانتكاس كان دائماً نصيب كل جهد انصرفت فيه تلك الروح. لقد بذلت الانسانية ما بذلت، وأنفقت من ثمار المال والروح ما أنفقت، ولكنها ارتدت دائماً الى حيث بدأت. كان السبب في هذا أن العمالة الخسنة قد سيطرت على المجتمع، فلم تترك له مفعلاً من مخالفتها القاتلة.

على الرغم مما تتطلب هذه الحرب الضروس من مهام العمل واليقظة والاستمرار، فإن مؤسّس الانجيز قد بذلوا أقصى الجهد في سبيل تنفيذ ما أوصى به عالمهم، فأدّوا بذلك للعالم خدمة أخرى، إذ كانوا أعظم قدوة وأسى مثل ضرب للناس في هذا العصر. نعم استطاعوا أن يقضوا على الجهل، فنفذوا بموافقة مجلسهم النيابي موافقة بالاجماع، برنامجاً للتعليم يقضي على الجهل، إذ جعلوا التعليم من نصيب الأولاد والفتيات عامة ومن نصيب كل الطبقات. وأدخلوا ذلك النظام في طور التنفيذ الفعلي. بل لقد قرأت لأحدهم قوله: ان تنفيذ هذا البرنامج التعليمي من أبهر الانتصارات التي نالها الانجيز في هذه الحرب.

قضى الانجيز بذلك على العملاق الأول: الجهل، وانصرفوا بعد ذلك إلى مغالبة العملاق الثاني: التعلل أو الكسل، فعمدوا إلى نظام يضمن لكل انسان عملاً منتجاً، وجعلوا انتاج الحاجات التي تسد غرض الحياة في البلاد أول همهم. ذلك بأن الأمة ما دامت تعمل في مجموعها، استطاعت بذلك أن تقضي على الخصاصة وعلى الحاجة، وتنصرف من هذه السبيل إلى العمل الذي يكون في ذاته خدمة اجتماعية ذات أثر ثابت في حياة الجماعة. ولم يغفل الانجيز عن العملاق الثالث: المرض، فقد أخذت الحكومة تنفذ برنامجاً صحياً يشمل جميع أفراد الأمة على اختلاف طبقاتها. وما فعلوا ذلك إلا ليكون الاصلاح الصحي مقدماً للقضاء على العملاق الرابع وهو الحاجة أو الخصاصة، فإن الاصلاح الصحي، يقضي بوضع نظام للتأمين عند التقاعد عن العمل. فمن الواجب أن يقوم هذا النظام على، مقتضى المبادئ التي وضعت للضمان الصحي.

العملاق الرابع: الحاجة أو الخصاصة، هو الآن في طريقه إلى الموت، في صورة مرسوم بقانون تضمنه كتاب أبيض سيعرض على مجلس العموم. ولقد قدم ذلك المشروع كما وضعه بفردج، ما عدا بعض تنقيحات زادها المتحمسون إلى ما أوصى به ذلك العالم المصلح، وأساسه إدخال نظام التأمين القومي الجبري لكل طبقات الأمة، بحيث يكون ذلك من حق كل فرد من المهد إلى اللحد، وأن يكون التأمين شاملاً، بحيث يتناول كل مرافق الحياة الفردية.

ميقوم هذا المشروع على أساس التأمين على التعطل لكل رجل وامرأة ، ولكل رجل مع زوجة لها كسب ، ولكل رجل مع زوجة لا كسب لها ، ولكل امرأة متزوجة ذات كسب ، ثم مخصصات لمن يعولون . وكذلك سيكون هناك تأمين ضد المرض والتقاعد ، ثم مخصصات للأرملة والموت ، وللأرامل واليتام وللتعليم الصناعي والمهني ، عند ما يكون الفرد متعطلاً عن العمل . وينص هذا المشروع على ان الحكومة تقوم بدفع مخصصات للأسر وتنفق على الأولاد تعليمياً وتغذيةً ، وتوزع اللب على الأطفال المحتاجين اليه ، وتعوض العامل عما يحدث له من الاصابات أثناء العمل ، وتكفل له حياة مستقلة شريفة إذا تقاعد بسبب الاصابة .

وقد تبلغ نفقات التأمين الاجتماعي والمساعدة القومية ومخصصات الأسر والخدمة الصحية ٦٥٠.٠٠٠.٠٠٠ مليوناً من الجنيهات الانجليزية في السنة الأولى ، وسترفع إلى ٨٣١.٠٠٠.٠٠٠ بعد ثلاثين سنة . وستدفع الخزانة من هذه المبالغ ٣٥٠.٠٠٠.٠٠٠ في السنة الأولى ثم تتدرج حتى تصير ٥٥٧.٠٠٠.٠٠٠ بعد ثلاثين سنة .

هذا طرف ضئيل مما يتضمن مشروع بفردج للضمان الاجتماعي . ولكنه كافٍ على كل حال ، ليظهرنا على الروح التي بعثته ، وإلى الحالات التي أدت اليه .

لماذا تقع الانقلابات الاجتماعية ؟ تقع الانقلابات الاجتماعية إذا تطورت الجماعات ووقفت النظمات العميقة تحول دون خطى التطور أن تنبعث في طريقها المحتوم . وإذا يكون كبح الانقلابات الاجتماعية هو بالعمل على مسايرة تلك الخطى التي تتطور فيها الجماعات وتتكون عنها فكرة في ضمائر الأمم ، بحيث تعالج بذلك العمل حالات ، هي التي تدفع إلى الانقلاب .

نظر فلاسفة الاجتماع الى حالات الانقلاب نظرتين مختلفتين : قال الأولون ان كل انقلاب خطأ : وقال الآخرون ان كل انقلاب صواب . نظرتان مختلفتان ، بل هما نقيضان لا يلتقيان . ولكن الواقع يثبت أن كلا من النظرتين لها في العقل ما يبررها . فالذين يقولون بأن كل انقلاب خطأ ، انما يحكمون بذلك على اعتقاد ان الانقلاب ليس مضمون العاقبة دائماً ، وقد يتولاه الانتكاس فيرتد الى عكس ما أريد به . هذا فضلاً عما يتطلب من التضحيات ، وما يسبب من الآلام . والذين يقولون بأن كل انقلاب صواب انما يحكمون بذلك على اعتقاد انه

ما من سبيل الى الافراج عن الرغبات المكبوتة بالقوة والوصول الى الاصلاح المنشود الا بتعطيم كل ما يقف في سبيل ذلك من العقبات . وكما ان للنظريتين ما يبررها عقلاً ، فان لها الى جانب ذلك فائدة أخرى ، هي ان تثبت من طريقهما أن التطور التدريجي قد يقضي على كل نزعة الى الانقلاب اذا أحسن القيام عليه ، وعهد بسياسة الأمم الاجتماعية الى الذين في استطاعتهم ان يدركوا ما تحفز اليه حاجات الناس من وجوه الاصلاح .

أما علاج حالات مجتمع كادت تصيبه فورة الانقلاب ، فسبيلها النظر في عمالقة ويفردج الخمسة : هل هي آخذة بخناقها ؟ هل هي تهد من كيانه وتسكب من رغباته وتشرقه الى حالات أسنى وأنجح في الحياة ؟ لقد أوضح العلامة ويفردج الطريق ورسم النهج وأثار السبيل . إن العالم في مخاض ، أما ما ستلد الأيام ، فذلك ما نكاد نحكم بأنه سيكون خطوة كبيرة إلى الامام . خطوة تخلف العالم الاجتماعي أكثر استقراراً وأماناً ، إذا تولته الايدي التي تحسن القيام عليه .

حديث ذو شجون

حدث أبو بكر بن دريد الازدي ، قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال : رأيت بالبادية امرأة على راحلة لها تطوف حول قبر وهي تقول :

يا من بقلته زهى الدهر	قد كان فيك تضاعل الازم
زعموا قتل وما لهم خبر	كذبوا وقبرك ما لهم عذر
يا قبر سيدنا المجن سماحة	صلى الاله عليك يا قبر
ما ضر قبراً فيه شلوك ساكن	أن لا يمر بأرضه القطر
فلينبين سماح جودك في الثرى	وليورقن بقربك الصخر
واذا غضبت تصدعت فرقاً	منك الجبال وخافك الذعر
واذا رقدت فأنت منته	واذا انتبهت فوجهك البدر
والله لو بك لم أذع أحداً	إلا قتلت ، لغاني الوتر

قال فدنوت منها لاسأله عن أمرها ، فاذا هي ميتة .



الدبلوماسية البابوية

في محيط السياسة الأوروبية

لصالح الربيع الشريف

تطلع علينا أنباء البرقيات الخارجية الحين بعد الحين ، بألوان من السعي الدبلوماسي السلمي يصبغ نشاط « الفاتيكان » في هذه المرحلة التي يجوزها العالم ويرسم لنا في غمرة الأحداث الدولية التي تتعاور الآن مصائر الأمم ، صوراً حية تعكس للقادة العالميين حقيقة المنتج الدبلوماسي الذي تنحوه اليوم سياسة « الفاتيكان » في معترك العلاقات الدولية المتشابكة ، كما تكاد تفصح عن مدى ما تستطيع أن تؤديه الدبلوماسية البابوية للعالم كله من سلام وتعاون وإخاء ، بعد سنوات شداد من العراك والدمار والفوضى .

والحق ان البابوية لعبت دوراً تاريخياً خطيراً في سياسة العالم من قبل ، اذ كان لبابوات روما اليد الطولى في خوض معركة لاهية من معارك الكفاح الرهيب بغية التفرد بالسلطان الزمني ، بله سلطانهم الديني . وكان من المحتوم أن يشغل هذا الكفاح من العصور الوسطى حقبة من الزمن ، حفلت بأحداثها وظروفها ، إذ نازعت فيها البابوية ملوك أوروبا وأقيالها ، واشتدت في مدافعتهم عن رغبة الاستئثار وحدهم بالسيطرة على مصائر أوطانهم السياسية وممارسة سلطانهم الزمني كاملاً . وقد تجلى دهاء السياسة البابوية في مناسبات عدة ، كما تبدت روعة أساليبها في حرصها الشديد على الاستمساك بعروة السلطان الزمني طيلة فترة الكفاح بينها وبين الامبراطورية ، وعرضت لنا صفحات التاريخ الأوروبي صوراً باهرة لأعلام السياسة الزمنية من دهاء البابوية ودهاقينها المجرمين العباقرة .

ولم تهدأ نائرة هذا النزاع العاصف بين الكنيسة والدولة ، إلا بعد أن أخذ ملوك أوروبا وأقيالها يدأبون على توطيد سلطانهم الزمني متوسلين بالنظريات المبتدعة تارة^(١)

(١) كنظرية الحق الإلهي التي تقضي بأن الملك أو الامبراطور يستمد حقه في حكم شعبه من الله ، فهو

غير مسئول إلا أمامه سبحانه .

وبسياسة البطش تارةً أخرى . وظلَّ العامل الديني الذي اصطبغت به الدعوة البابوية في دفاعها عن مبادئها في السياسة الزمنية ، محافظاً على بقية من نفوذه وقوته في أذهان الغربيين حتى مطلع القرن الثامن عشر ، عصر الاستنارة في أوربة ، فشاعت فلسفة الشك التي تناولت قيم الحياة وأقيسة الحضارة بألوان من التجريح والنقد ، استندت فيها الى فقه دعاة الإصلاح الديني من ناحية ، وإلى كتابات فلاسفة القرنين السابع عشر والثامن عشر ، وعلى رأسهم فولتير من ناحية أخرى .

وما استتمَّ القرن الثامن عشر دورته ، وطالعت العالم المنتمدين طلائع الثورة الفرنسية الكبرى ، حتى تقرر في الواقع ، بعد أن تقرر في الأذهان ، مبدأ الفصل بين نفوذ الكنيسة الديني والنفوذ السياسي للدولة . وذاعت من تمت نظرية مميامة جديدة لباباها تقرير المبدأ المسيحي القديم « ما لله لله وما لقيصر لقيصر » أي أن الحكم للدولة والدين للكنيسة *Cujus regio ejus religio* ولا بدَّ ، تبعاً لهذا المبدأ ، من تحديد النفوذ بينهما ^(١) .

كانت فلسفة الثورة الفرنسية ستار أسدل على ما كان باقياً للكنيسة وقتئذٍ من آثار السلطان الزمني ، ولم يطل الأمر بالكنيسة حتى فقدت إبان الثورة مقاطعاتها وتملكاتها جميعاً ، بعد مصادرتها وإلحاقها بالدولة التي اعتنقت « دين العقل » وقدست مبدعه « روبسبير » داعية الثورة الأكبر !

وتولت فرنسا النائرة من يومئذٍ مهمة الانفاق على الشعائر الدينية من خزينة الدولة ، وفي حدود ما ترصده لها من مواردها العامة ، فكانت أنصبة محدودة وحصصاً متواضعة ، لا تكاد تفي بما يسد حاجة هذه الشعائر من وجوه الانفاق .

ولم يكن عجباً أن يصبح مرفق الدين في المجتمع الثوري ضئيل الحظ من العناية الحكومية بعد ما كان له من سلطان زمني باذخ وعنفوان روحي قديم . وهكذا طغت فلسفة القرن الثامن عشر الاجتماعية على ما بقي من حرمان للهراسم والتقاليد ، وعصفت نزعة الاتحاد برجال الثورة والقائمين على إلهاب مبادئها اللادينية المتطرفة في صدور الجماهير .

وكان « الفاتيكان » في ذلك الوقت يلوذ بصمته التقليدي الذي يرتد إليه في كل مرة يفلت من يده زمام الأمور الكنسية التابعة لمذهبه الرسمي ، وظلَّ يرقب عن كثب أحداث تلك الثورة التي أطاحت بهمد الارهاب لتخلفه حكومة « الديركتوار » التي مهدت بدورها

(١) Paleologue, Un Grand Tournant de la Politique Mondiale, P. 40,

لظهور نابليون الأول، ليسيطر بحروبه الظافرة عبر القارة، على أقدار الممالك ومصائر شعوبها فترة غير قصيرة من الزمان.

وأوحى إلى نابليون دهاؤه بأن الوضع الذي رسمته الثورة للمجتمع الفرنسي، بالنسبة لعلاقاته الدينية مع البابا، لا يتفق وما يجول في خاطره من آمالٍ حسامٍ يتطلع إلى تحقيقها وإلباسها ثوب الحقائق السافرة، وأن لا غنية له عن كسب العطف البابوي، فاعزم من فوره — وهو الطامع إلى تاج الإمبراطورية — أن يعيد إلى فرنسا، الابنة البارة للكنيسة الكاثوليكية، وضعها الطبيعي الأول، وأن يعيد المصالحة إلى البابا ليعيد العلاقات بينه وبين الدولة سيرتها الأولى. وهكذا كان اتفاق « الكونكوردات — Concordat » المبرم في عام ١٨٠١ دستور علاقات قامت على الوفاق والمودة بين الفاتيكان وفرنسا حتى عام ١٩٠٤، حين استبدل بها غيرها.

وكان اتفاق « الكونكوردات » في الواقع عملاً باهراً من أعمال الدبلوماسية النابليونية، حمل « بافاريا » عام ١٨١٧ وبروسيا عام ١٨٢١ على أن تنسجما على منوال فرنسا، إذ عقدت كل من المملكتين مع « الفاتيكان » اتفاقية تنظم سير العلاقات بينهما.

والحق أن العنصر السياسي لم يكن بارزاً في هذه الاتفاقات، غير أن مقام « الفاتيكان » في العالم الكاثوليكي، بله المسيحي عامة، كان ذا أثر ملحوظ في السيطرة على عقائد الملايين من سكان أوروبا على اختلافهم، فكان البابا بهذا الوضع قوة روحية كبرى يخشى جانبها ويستحب اكتساب عطفها ورضاها، ولا سيما بعد أن حادت الأوضاع الطبيعية إلى أوروبا في أعقاب عصر الارهاب الثوري، واستتبت شئون القارة إلى حين، إثر معركة الأمم وهزيمة نابليون في « واترلو » وهيمنة سياسة المؤتمرات على ممالكها وشعوبها.

والواقع أن الدبلوماسية البابوية لم تشأ أن تشق بادية ذي بدء في غمار الأحداث الدولية أو أن تساهم في معترك الشؤون الخارجية بين ممالك القارة، بقدر ما عكفت على تنظيم صلاتها الدينية بكنائس الدول الأوروبية، فلم تن عن العمل على توثيق سلطانها الروحي عن طريق مبعوثيها من الرسل البابويين عند الدول التي ارتبطت باتفاقيات تنظيم علاقاتها بالفاتيكان، فظلت مطبوعة بطابع ديني محض، لا شأن له بأمر السلطان الزمني، على خلاف ما كانت عليه أوضاع البابوية طوال العصور الوسطى^(١).

(١) Mowat, Diplomacy & Peace, P. 188—189.

غير أن هذا الاعتكاف في داخل نطاق السلطان الروحي وتسيير دفعة العلاقات الدبلوماسية المبنية على تلك الاتفاقات في حدوده ، ليس يعني أن البابوية حتى قرابة الربع الأخير من القرن التاسع عشر ، لم تكن تباشر أي لون من ألوان السلطان الزمني . فلا يجب أن ننسى أن الفاتيكان ظلّ مسيطراً على مدينة رومية وما كان داخلياً من الأرضين في نطاقها ، يباشر عليها جميعاً سلطانه الزمني بكامل المعنى الاصطلاحي ، حتى بدأ حلم الوحدة الإيطالية يتحقق بدخول جيوش « بيمونت » المدينة المقدسة ، واحتلالها عام ١٨٧٠ وجعلها عاصمة لمملكة إيطاليا .

وعند ما تيمرت الأسباب لمملكة إيطاليا ، ولا سيما بعد امتكالم وحدثها القومية والسياسية وزوال سياسة الفاتيكان ، أن تكون قوة عاملة في المحيط الدولي ، ثارت بين الدول من جديد نظرية « الوضع الدولي للبابا » وعكف فقهاء السياسة الدولية على بحث تلك القاعدة التقليدية القديمة التي كانت تشترط لصحة انتخاب عميد المسيحية الأكبر وتربعه على عرش الفاتيكان ، أن يكون إيطالي الجنسية ، وانتهت إلى أن هذا الشرط « العنصري » — إذا ظلّ معمولاً به — فانه لا يحقق على الدوام الصفة الدولية للبابا ، ولا أن يضيف على « الفاتيكان » صبغة عالمية بارزة . ومن ثم ذهب فريق من فقهاء القانون الدولي إلى القول بأن الوضع الدولي البابوي لا يتحقق بكامل معناه إلاّ باعتراف نظرية الانتخاب الشعبي العام ، وتمهيد السبيل أمام الأمم الأخرى ، ليحظى أبناءها من الكرادلة والأساقفة الذين امتكلموا شرائط الانتخاب ، بالكرسي البابوي الرفيع ، أسوة برجال السلك الكهنوتي من أبناء الشعب الإيطالي .

ولقد كان للنظريات الفقهية الجديدة التي حتمتها تطورات السياسة الدولية في العقود الثلاثة الأخيرة ، أثر ملحوظ في توثيق ذلك الرأي الفقهي ، وإن لم يدخل بعد في حيز التنفيذ العملي ، رغم أن أوضاع عصبة الأمم التي دعا « ولسون » حلفاءه إلى بحث فكرتها بعد الحرب العالمية الماضية ، كانت تقضي بدولية الانتخاب الخاص بقولي منصب سكرتيريتها العامة ^(١) حتى يعم التناوب عليها جميع أبناء الدول الداخلة في عضويتها وهيئاتها

بيد أن فريقاً آخر من الفقهاء والمشرعين الذين أشبعتهم روحهم بثقافة دينية مسالمة ، لم يروا في محاولة قلب الأوضاع الحالية وابتداع النظريات الفقهية بغية التعديل في القواعد المرسومة التي رسّخها الزمن ، إلاّ فرصةً ساحقة لبعث التنافس والمزاومة بين الشعوب ،

وإثارة كوامن التطاحن السياسي بين حكومات الدول المتناجزة ، في سبيل كسب هذا المنصب لأبنائها . ولقد رأوا أن مثل هذه الخصومة قد تجر إلى إثارة منازعات أسدل عليها عصر الضياء في أوروبا ، متاراً كثيفاً . فالاستمساك بعرى التقليد القديم الذي جرت عليه مراسم الانتخاب للكرسي البابوي ، يجعل مركز البابا على الدوام بنجوة من تلك المنافسات السياسية فضلاً عن أن الفاتيكان ، في ظل هذا التقليد التاريخي العتيق ، لا تسلب حيدته ولا يثلم استقلاله ، الذي يستمد منه سلامته وحرمة في العالم المسيحي كله .

ولم يكن المتجه الدبلوماسي للبابوية منذ حركة الإصلاح الديني « Reformation » حتى منبثق عام ١٨٧٠ سوى سلسلة من السعي الخيث لكسب مزايا دينية ومنح مادية للكنيسة الكاثوليكية . ولقد تجلت خصائص هذه الدبلوماسية الإيجابية لتحقيق هذه الغايم الأدبية والمادية للكنيسة في عهد فيليب الثاني ملك اسبانيا ولويس الرابع عشر وخلفه لويس الخامس عشر ملكا فرنسا .

وفي القرن التاسع عشر ظلت الدبلوماسية البابوية منذ انعقاد مؤتمر فيينا حتى نشوب الحرب السبعينية بين ألمانيا وفرنسا ، لا تألو جهداً في الاستمساك بسلطانها الزمني الذي هيأ لها السيطرة المطلقة على مرافق روما وأقدارها ربحاً من الزمن ، حققت البابوية في خلاله صورةً من المجتمع الديني سادت فيه فضائل المسيحية . ولم يكن مستنكراً في غمار هذه الظروف أن تناهض سياسة الفاتيكان نشوة الروح القومي في إيطاليا ، تلك الروح التي كانت ترمي إلى تحقيق الوحدة السياسية الموققة بين إماراتها ودوقياتها بزعامة « پييمونت » ومن ثمة اتجهت الدبلوماسية البابوية أيامئذ إلى مناصرة سياسة المؤتمر التي رسم « ميترنخ » قواعدها بتأييد إنجلترا وروسيا ^(١) والنمسا .

والحق أن فقدان الفاتيكان لسلطانها الزمني إثر تحقيق الوحدة الإيطالية ، لم يحمل في طياته أيما شر سياسي للفاتيكان ، كما كان يتنبأ بذلك أنطونلي Antonelli الدبلوماسي الداهية الذي كان كاهناً لمر البابا « بيوس التاسع » منذ عام ١٨٤٨ حتى عام ١٨٧٦ . فزوال السلطان الزمني ضمن لدولة الفاتيكان خلاص من ربقة القيود الإقليمية والاعتزال وراء النخوم الجغرافية ، ومهد للفاتيكان اتباع سياسة دولية شاملة خرجت بنشاطه الديني والسلمي إلى الأفاق الدولي الفسيح .

ولقد تحقق هذا الوضع على أكمل وجه له بعد « المعاهدة اللاتيرانية » Lateran التي

أرمتها الدولة الإيطالية مع الفاتيكان عام ١٩٢٩ ونظمت بها العلاقات الدبلوماسية بين الدولتين وأمكن بها للبابا ، لأول مرة ، أن يخرج عن احتجابه التقليدي الذي ظلّ حتى وقتئذٍ سنة متبعة منذ احتلال قوات « بيمونت » لرومية ، احتجاجاً على العدوان العسكري والسياسي الذي نزل بالفاتيكان باحتلال « المدينة المقدسة »

وظلّ خلفاء « بيوس التاسع » ملازمين الفاتيكان الذي انكش سلطانه السياسي على أثر تحقيق الوحدة القومية، واتبعت الحكومة الملكية الجديدة إزاء مدينة البابا وضعاً دولياً مسالماً ، إذ اعتبرت الفاتيكان إقليماً أجنبياً عن أرض الدولة « extra-territorial » فلم تخضعه لهيمنة الحكومة المركزية، ولم تحتله بجيوشها أو موظفيها الملكيين (١).

وعلى ذلك لم يعد للاحتجاج التقليدي الذي اتبعته السياسة البابوية منذ عام ١٨٧٠ أي مبرر ، لأن استنكار هذه السياسة لفكرة الضم Annexation لم يعد يحمل معنى انتهاك السيادة واهدار الاستقلال ، ولم يكن في الواقع غير عمل سياسي طبيعي ضمت به مدينة رومية للمملكة الجديدة لتصبح العاصمة ، واقطعت الحكومة الملكية بعض الأرضين التي تناخم المدينة وتكون ضواحيها .

ومن ثمة انفسح المجال أمام الفاتيكان ليشارك في تعزيز الروابط الدينية وتقوية العوامل الأدبية بين أمم المسيحية ، وتأكد هذا النشاط الجديد عقيب أن بارح البابا « بيوس الحادي عشر » مدينة الفاتيكان في موكب ديني مشهود اعلاناً لرضائه الصريح الذي ظلت الحكومات الإيطالية المتعاقبة حريصة على الفوز به .

ولما كانت الدبلوماسية البابوية تستمد خصائصها من طابعها الديني الذي يعزز في روحه وتعاليمه مكارم الأخلاق الدولية بين أمم العالم ، فقد هالها الصراع الدموي الرهيب الناشب بين أمم الحضارة، وينذر بالقضاء على مقوماتها ومثلها ، فهبت نشيطة يقظة تدعو العالم الى كلمة سواء ، وتهيب به أن ينيء الى الاخاء والعدل والسلام .

(١) راجع مقال N. V. Tcharykow بعنوان « The Roman Question » في مجلة Contemporary Review عدد مارس سنة ١٩٣٠. وقد كان « مخاريكوف » هذا ممثلاً للامبراطورية الروسية لدى دولة الفاتيكان عام ١٨٩٧

وفي اليوم الأول من شهر سبتمبر سنة ١٩٤٣ أذاع قداسة البابا من محطة الفاتيكان اللاسلكية رسالة كريمة طالب فيها الأمم المتحالفة أن تحقق السلام في أقرب وقت، وناشدها ألا تدع هذه الحرب المروعة تنتهي بالتخطيم والتدمير بل يجب أن تستهل صفحة جديدة من الصلح الأخوي بين الشعوب .

ولقد رسم قداسه في تلك الرسالة ، التي مبعثها دعوات قوية مماثلة ، قواعد الدبلوماسية الجديدة التي تنصرها البابوية وتراها أمثل الأساليب لاقالة هذا العالم من عثرته ، ومنها نستشف سماحة العوامل التي حدث بهذا النشاط الدبلوماسي الى تكرار دعوته ومواصلة النهج في سبيلها ، حتى يعلو صوت العقل على صوت الدمار والفوضى .

قال قداسه « يزداد في كل أمة النفور من أساليب الحرب العامة ، كما أخذ الشك يقمر رب الى جميع القلوب في هل يتفق استمرار مثل هذه الحرب مع المصالح القومية أو مع العقل . وقد تخطم صرح الثقة والايمان بين الأمم بعد المعاهدات الكثيرة التي نقضت ، والعهود التي نكثت ! وإن الشعوب لا تستحق ، بعد الآلام والمتاعب التي طالتها ، سوى السلام والخير والعمل ، هذه كل ما تطلبه الشعوب ، والله هو الحكم الأكبر لكل عدل وقانون . فالويل لمن يثيرون الأحقاد ويبننون سلطانهم على الاضطهاد والمظالم وتعذيب الأبرياء ويمنعون بناء سلام عادل دائم » .

« إن الذين حسبوا أنهم قادرون على تحقيق انتصارات عسكرية خاطفة واحراز صلح سريع ظافر ، لم يشاهدوا ، حتى في بداية هذا العام الخامس من الحرب ، سوى الرعب والفرع » ^(١)

ولا شك في أن هذا الاتجاه السلمي الجديد ، مع ما يعززه من النفوذ الأدبي لهيبة المقام البابوي بين أمم العالم المتطاحن ، سيحملها على أن تطوي صفحة الأمل الحزنة ، وتستهل صفحة جديدة قوامها الاخاء والرخاء والعدل بين أمم العالم المتمدين .

(١) راجع جريدة الامرام العدد رقم ٢١١١٩ الصادر في ٢ سبتمبر سنة ١٩٤٣

الريف والزراعة

في الولايات المتحدة الاميركية



لورديع فلسطين

يهم البلاد الزراعية ، ومصر في طليعتها ، أن تتبع أنباء التقدم الزراعي في العالم لتستطيع الاستفادة من خبرة الأمم الأخرى في هذا الشأن .

١ - إضاءة الريف الأمريكي

وأول ما يلفت النظر في الريف الأمريكي نظام الإضاءة الكهربائية الذي ينتشر في عدد كبير من قرى الولايات المتحدة الأمريكية .

فقد استطاع الأمريكيون في مدى سبع سنوات إضاءة ما يزيد على مليون منزل ريفي تضم زهاء خمسة ملايين نسمة . فأضحى هذا العدد الضخم من الفلاحين ينتفع جزاياً بالإضاءة الكهربائية الجمّة .

أنشئت إدارة إضاءة الريف بالولايات المتحدة في مايو سنة ١٩٣٥ بناءً على أمر الرئيس فرنكلن روزفلت ، واتضح بعد مضي سبع سنوات من قيام هذه المؤسسة أن أصبح ٢٥ في المائة من القرى الأمريكية البالغ عددها ٦٨٠٠٠ قرية تضاء بالكهرباء .

وكان تحول الإضاءة من الزيت إلى الكهرباء مصحوباً بتطور اجتماعي واقتصادي كبير . فقد أصبح الحصول على المياه النقية في الريف ممكناً ، وأدّى ذلك إلى تحسن صحة الريفيين . كما أن انتشار الكهرباء جعل من المتيسر على الفلاحين اقتناء ثلاجات لحفظ المواد الغذائية ، ووفر عليهم الخدمات التي كان يؤدّيها الكوّائين والغسالين ومن إليهم .

ومن أهم ما نتج عن تطبيق هذا النظام الجديد أن أصبح مستطاعاً استعمال الآلات الزراعية ، عوضاً عن سخرة الفلاحين في أعمال الفلاحة المختلفة .

ومما يجدر ذكره أن مشروع الإضاءة الريفي الكبير ، قام على أموالٍ أقرضتها

الحكومة الأمريكية المركزية (الفدرائية) إلى جمعيات تعاونية أقيمت خاصة لهذا الغرض أو إلى مؤسسات عامة لا تسعى إلى ربح ذاتي .

ووضع إلى جانب القروض ، نظام خاص يمكن بمقتضاه ردّ قيمة هذه القروض ثانيةً إلى الحكومة في مدى ٢٥ عاماً .

ولعلّ المثال التالي يبين لنا الطريقة التي أدّت إلى إضاءة الريف الأميركي .

يدعو ممثل الحكومة الأميركية المركزية فلاحي قرية من القرى إلى اجتماع عام يُظهر فيه الفلاحون رغبتهم في مدّ الأسلاك الكهربائية في قريتهم . فتتكوّن هيئة تعاونية تشرف على تنفيذ هذه الرغبة ، تقرضها الحكومة المركزية نفقات مشروع الإضاءة ، فتمدّ الأسلاك في أرجاء القرية وتطالب الفلاحين بسداد نفقات استهلاكهم من الكهرباء وتقوم بدورها بتسديد الأقساط الحكوميّة ، مما حصلت عليه من المستهلكين . ومهمة الجمعيات التعاونية القيام بشراء الكهرباء من مراكز توليدها على أساس سعر الجملة ، ثم بيعها إلى المستهلكين بسعر القطاعي ، فيكون ربحها هو الفرق بين السعرين . ويستغلّ هذا الربح في تصفية ديون الجمعية التعاونية للحكومة المركزية .

هذا وقد أنشئ في مختلف أنحاء الولايات المتحدة الأميركية ٤٥ مركزاً لتوليد الكهرباء تقوم بمهمة مدّ الهياكل التعاونية بالقوى الكهربائية اللازمة . وكان من نجاح المشروع أن ما يزيد على ٤٠٠.٠٠٠.٠٠٠ دولار أقرضتها الحكومة إلى نيف وثمانمائة مؤسسة عامة تقوم بنشر الكهرباء ، في مختلف أنحاء الريف الأميركي .

هذه لمحة عن مشروع ريفي ناجح في بلاد زراعية ناجحة .

٢ - المزارع النموذجية

استطاعت خمسون مزرعة أميركية تدار بإشراف كلّ من « إدارة البحوث الزراعية الأميركية ، والمختبرات ومراكز البحث الإقليمية » أن تغير الخريطة الزراعية للولايات المتحدة الأميركية . فأمكن في إحدى هذه المزارع التجريبية ، اختراع طريقة للزراعة الجافة أدت إلى تحويل المناطق الصحراوية في الولايات المتحدة الأميركية إلى مساحات تزرع فيها الحبوب . وتوصّل الباحثون إلى نوع من الحبوب يتطلب قليلاً من الرطوبة ، فزرعوه في هذه المزارع التجريبية ، وكانت النتيجة أن أصبح ثلاثون مليوناً من الأنفس يعيشون على هذا النوع من الحبوب ، وأن يستنبطوها لعمل الخبز اللازم لأهالي الولايات المتحدة وجنودها وحلفائها .

وقد أجريت تجارب مضمينة لزراعة فول الصويا في نوع من التربة يشبه تربة نهر
القولجا في روسيا ، وكان نجاحها مدعاة لأن تشحن الولايات المتحدة إلى اتحاد الجمهوريات
السوفيتية مقادير من فول الصويا ، الذي لم يسبق لروسيا أن استنبطته .

وأمكن لاحدى المزارع الاميركية ، أن تحرز نجاحاً ملحوظاً في استنبات نوع جديد
من القمح يزيد عدد الحبات في السنبلة الواحدة منه بمقدار ٥٠ في المائة من عدد الحبات في
سنبال القمح العادي . فكان من نتيجة ذلك أن أصبحت الولايات المتحدة الاميركية
الآن تمتلك عدداً كبيراً من مخازن الغلال الزائدة عن الحاجة ، يمكن عند الضرورة شحنها إلى
أوروبا وآسيا وشمال أفريقية لتأمين البلدان التي تأثرت سياساتها الغذائية بفعل الحرب . وتدار
محطات التجارب الزراعية التابعة لوزارة الزراعة الاميركية لمصلحة الفلاحين الاميركيين
وبمعاونتهم ، وكذلك بمعاونة طلاب الزراعة في جميع الولايات ، فهي والحال هذه تمثل جميع
درجات المناخ وأنواع التربة .

ويتعاون العلماء مع الفلاحين في انتاج أنواع جديدة من النباتات ، وتحسين سلالات
الماشية ، وزيادة الانتاج المحلي من بيض الدجاج ، واختراع المواد الكيميائية اللازمة لعلاج
أمراض النباتات .

ويحضر زراع الحبوب في المناطق الغربية من الولايات المتحدة الاميركية كميات هائلة
من القمح سنوياً لاصابتها بمرض « الصدأ » ، غير أن البحوث التي تجريها المزارع
الحكومية تمخضت عن كشف نوع جديد من القمح لا يصاب بالصدأ لمناعته . وغلة القدان
منه تزيد على غلة الأنواع الأخرى . فأمكن بأساليب التسميد المستحدثة والأنواع الجديدة
من الحبوب أن تتزايد غلة الشعير والقرطم والحنطة والحبص . وأصبحت الولايات المتحدة
تنتج من هذه المحصولات ١٢٥ في المائة أزيد مما كانت تنتجه قبل عشر سنوات .

وتواصل الهيئات المختصة بنجاح مكافحة الحشرات التي تفسد الفاكهة وسوس القمح
ودودة القطن وأمراض الماشية وتجارب جميع الادواء التي تؤثر في زيادة الموارد الغذائية
للولايات المتحدة الاميركية .

ويطوف ألوف من مندوبي مصلحة الزراعة الاميركية على القرى لايبلاغ الفلاحين
فنتائج بحوث هذه المزارع بطريقة واضحة ، وإحاطتهم بجميع التحسينات التي تطرأ على
الزراعة . كما أنهم يقومون بعرض مشكلات الفلاحين على الباحثين ليتعاونوا على حلها .

وحدث مرة أن اشتكى فلاحو الاراضي الجنوبية في الولايات المتحدة من أن ماشيتهم

هزيلة سقيمة ، فأرسلت الحكومة خبراءها إلى تلك المنطقة ليتقصوا أسباب هذه الشكوى ، فالضح لهم أن الماشية من نوع لا ينضج عرقاً يلطف من حرارة أجسامها . وعندما لقيحوا الماشية بنوع جيد من المواشي يلائمها الجو الجنوبي الحار ، تحسنت أنواعها ، وتضاعف إنتاجها .

وأمكن بالعناية الفائقة بالدجاج أن تبيض الدجاجة الواحدة في المزارع الأميركية حوالي ٢٥٠ بيضة في العام ، واستطاع هؤلاء العلماء أنفسهم زيادة إنتاج الولايات المتحدة من لبن البقر بمقدار ٢٠ في المائة ، وضاعفوا النسبة الغذائية في الزبد . كذلك رأى أصحاب مزارع الليمون والبرتقال أن الأشجار تنمو هزيلة ، فاستدعوا اخصائيي الحكومة ، واتضح لهم أن الأشجار الناجحة تنبت في تربة تحتوي على نسبة قليلة من الخارصين (الزنك) وأن البساتين المصابة تعوزها هذه المادة ، فعولجت على هذا الأساس وعادت إلى الأشجار طافيتها . وفي السنوات العشر الأخيرة وحدها ، استطاع علماء الحكومة ومندوبوها متعاونين ، زيادة إنتاج الحبوب الأميركية بما لا يقل عن ٢٥ في المائة وهم يواصلون أعمالهم الآن . فاستنبتوا أنواعاً جديدة من القطن المتين الثيلة وأنتجوا أنواعاً جديدة من الفاكهة والمحصولات المختلفة ووقفوا إلى كشف فوائد جديدة لجميع المحصولات ، واستغلوها جميعاً أفضل استغلال ، فأصبح القمح الهندي مثلاً ، يستعمل في ما لا يقل عن ألف غرض صناعي عدا استعماله غذاء . وفول الصويا استعمله العلماء في صناعة المطاط الصناعي وفي بناء الطائرات وفي إنتاج مئات من الأدوات النافعة . واستطاعوا بكافة الوسائل استغلال ذكائهم ومعارفهم وصبرهم في الاكثار من محاصيل الحبوب الأميركية .

تلك أمثلة للمشكلات التي نجحت في حلها المزارع الحسنة التابعة لحكومة الولايات المتحدة الأميركية . ولم تنجح تلك البحوث في تحسين حال الفلاحين وحسب ، بل ساعدت الحكومة الأميركية في تغذية جيشها الكبير .

وإزاء الحرب القائمة ، أنشأت مصلحة الزراعة الأميركية قسمًا خاصًا لبحث الحالة الغذائية في العالم ودراسة المزايا النسبية التي تترتب على استنبات محاصيل زراعية معينة في بلادها من جودها وترتبتها ما يجعلها أنسب مكاناً لانبثاق هذا النوع من النبات . كما أنها وضعت برنامجاً وثائقاً لنشاطها بعد الحرب .

الزمرانقة وأصلها

لأرب أنستاس ماري الكرمل

من أحفاد مجمع فؤاد الاول للغة العربية

جاء في قاموس الفيروزبادي : والزمرانقة بالضم جبة من صوف . معرب اشتربانه أي «متاع الجمال» وقد تبع هذا الرأي كل من بحث عن هذه الكلمة من أبناء الناطقين بالضاد . ونحن لا نرى البتة هذا الرأي ، إذ بين الحرفين من الفرق ، كما بين الثرى والثريا ، أو كما بين البقة والبقرة . ولا يهمننا قال فلان كذا ، أو قال آخر كذا ، إنما نرمي إلى التحقيق ليس إلا . والمستشرقون لم يقبلوا هذا الأصل الفارسي الذي يحيل بعضهم عليه ، فقد نظر فرنكل (ص ٢٨٩ من كتابه إلى رأي نولدي أي إلى أنها من (كره بيان) أي حافظ الرقبة من (كره أي عنق) و (بان أي حافظ) ولكن كليهما شك في صحة هذا الأصل ولم يقنع بهذا الفكر . ولهذا جعل وراء (كره بيان؟) علامة الاستفهام ، دلالة على عدم اقتناعه به .

ونحن أيضاً لا نوافق على رأي من يقول بهذا الأصل أي (اشتربانه) ولا على رأي من يقول إنها من كره بيان ، والذي عندنا أن (الزمرانقة) مأخوذة من (جرمانقة) وهي اسم بلدة تسمى اليوم (مرعش) ، وكانت تعمل فيها أكسية منسوبة إليها ، وهي جيب من صوف أو من وبر الجمال .

قال السيد مرتضى في تاجه : «الزمرانقة بالضم جبة من صوف . نقله الجوهري . ومنه الحديث : أن موسى عليه السلام ، لما أتى فرعون ، أتاه وعليه زمرانقة ، يعني جبة صوف . قال أبو عبيد : أراها عبرانية . قال : والتفسير هو في الحديث . ويقال : هو فارسي معرب اشتربانه أي متاع الجل « اه . — قلنا : وفي القاموس — كما رأينا : متاع الجمال ، بتشديد الجيم يليها ميم . »

قلنا : ليست في العبرية كلمة تشبه هذا اللفظ ولا هذا المعنى . وأما في الفارسية ،

فالكلمة (اشتربانه) بعيدة عن الزمرانقة . هذا فضلاً عن ان (اشتر) معناها الجمل ، الحيوان المعهود ، لا الجمال أي صاحب الجمل . ولم ترد (بانه) عندهم إلا بمعنى العانة، ولا محل لهذا المعنى هنا .

والمعروف في الفارسية (أَشْتَرَوَا) وهو ثوب يتخذ من الوبَر و (أَشْتَرَوَا) أو (أَشْتَرَبَاد) حمل أو وقر جل و (أَشْتَرَابِه) أو (أَشْتَرَاوِه) ثوب يتخذ من الوبَر، وقد صحفه بعضهم فقال (أَشْتَرَابِه) وكلاهما خطأ ، إذ لا وجود لهما في الفارسية الفصحى . والصواب أن الكلمة من اللاتينية Germaniciana ومعناها مَرْعَشِيَّة بتقدير جُبَّة ، فيكون معنى زُرْمَانَقَة : جبة مرعشية ، أو تعمل في مرعش ، وهي من مدن الثغور ، لأن هذه البلدة تسمى بالرومانية Germanicia (جرمانيقية) واليونانيون لا يستطيعون التلفظ بالجيم ، فيجعلونها زايًا ولهذا يقولون (زرمانيقية) ، ثم خفت تخفيفاً طفيفاً بحذف الياء فقل زمرانقة .

والكلمة معروفة اليوم عند الإرميين (وهم الذين يسمون وهماً وخطأً كلداناً وسرياناً يصورة (جُرْمِينَاقَا) بمعنى زمرانقة ، وقد أفرغوها بقالب لغتهم ، صاغها بنو مُضَر صياغة مُضَرِيَّة ، وفسرها بعضهم بأنها ثوب محشو ومبطن وقد وردت هذه الكلمة بصورة ثانية في لساننا هي جرمقي وزان زرجي .

الكساء الجرمقي هو الزمرانقة

الكساء الجرمقي هو عندنا الزمرانقة بنفسها ، وإن لم يصرح بهذا المعنى أرباب نصوص اللغة قال في القاموس في تركيب (ج ر م ق) ، الكساء الجرمقي بالكسر ، وفي التاج : « قال الفراء : كساء جرمقي ، بالكسر ، كذا في التكملة » ولم يزد على هذا القدر ولم يشرحه . ا هـ

والذي عندنا أنه الزمرانقة نفسها ، فهذه الصورة اللاتينية ، والجرمقي بالصورة الخفيفة العربية ، كما قالوا في عبد القيس وامرئ القيس وعبد مناف وعبد شمس ، عبدئ وامرئ ومناف وعبشمي ، الى نظائرها ، وكل ذلك طلباً للخفة .

ولماذا لم يشرحوا الجرمقي كما شرحوا الزمرانقة ؟ — قلنا : لذلك أسباب ، منها : وهو الأول : إنهم كانوا يعرفون معناه حين تدوينه في المعاجم .

الثاني : شهرة ذلك المعنى والشهرة تغني عن التعريف .

الثالث : استغنأؤهم بقولهم : كساء وما كان مشهوراً يومئذ بكساء هو الزمانة ولم يفكروا أن الأجيال القادمة قد تختلط بمختلف الامم ذوي الألسنة المختلفة فيعمر معرفة المعنى إلهم يشرح بتفصيل واضح

الرابع : لعل بعضهم شرحوه ولم يتصل بنا .

الخامس : ضبطه بعضهم وزان جعفري ، كما فعل صاحب (معيار اللغة) وهو الميرزا محمد علي بن محمد صادق الشيرازي من اللغويين المتأخرين ، ومعجمه مطبوع في طهران طبعاً حجرية سنة ١٣١١ للهجرة ، فقد قال في مادة (ج ر م ق) : « جرمق كعسكر : بلد ، أو موضع وكساء جرمقي منسوب إليه اه . وضبطه ضبط قلم كعسكري ، وهو خطأ واضح لأنه مخالف لجميع من صرحوا بضبطه أي كزرجي بكسر الزاي والراء .

اختلاف بعض اللغويين المحدثين في شرحه

جاء في ذيل أقرب الموارد للشرطوني : « كساء جرمقي بالكسر كذا بالتكلمة وهو منسوب الى الجرامقة » اه

قلنا : قوله : وهو منسوب الى الجرامقة ، ولم يرد في التكلمة ، فهو من عنده ومن زياداته .

وفي البستان وهو للشيخ عبد الله البستاني : « الجرمقي كساء منسوب الى الجرامقة » — وهذا خطأ في خطأ . إذ لم يقل أحد : جرمقي بدون منعوت بل قال جميعهم كساء جرمقي . ولم ينسبوه الى الجرامقة ، بل نسبوه الى جرمانقية أي مرعش وهي مدينة لا قوم ، فاختلط عليه الحابل بالنابل والبقة بالبقرة .

وجاء في معجم فريغ الغربي اللاتيني ما هذا معناه : « زمانة . كذا . أي انه ضبط ضبط قلم بفتح النون وهو خطأ ، جبة من صوف (نقلا عن القاموس) : ويقال : إنها من الفارسية : اشتربانه . وعليه يدفعنا اشتقاقها هذا ، الى القول بأنها من ألبسة الجمالين » اه . وهذا كلام معقول وان لم يكن صحيحاً

والسبعون وبلغتها

استطاع غلادستون ، السياسي الانجليزي المعروف ، أن يشن معركة سيامية ، أصبح بعدها رئيساً لوزارة إنجلترا وهو في الرابعة بعد الثمانين . ورسم « تقيان » صورة من زوائع الفن عنوانها « المسيح متوج بالاشواك » وهو في الخامسة بعد التسعين . وكان « أوليفر ديتول هولمز » عضواً ممتازاً في محكمة الولايات المتحدة العليا ، ولم يعتكف ، إلا بعد أن بلغ الأولى بعد التسعين . فالعمر إذاً أمرٌ ذاتي ، ولا يُعَدُّ دائماً بطول السنين والأعوام .

تكون الحياة ثمينة ما استطاع المرء أن يعيش سعيداً مفيداً لنفسه وللناس . ولا شك في أن الانسان لا يفتظر أن يعيش وهو في السبعين محتفظاً بنفس القوة والنشاط اللذين يكونان له وهو في الأربعين . ولكنه مع ذلك يستطيع أن يؤدي في ذلك السن عملاً مفيداً وأن يعيش في كنه هادئاً وادعاً ، ما دام تكوين بنيته مواتياً لمطلوباته ، وعاداته متفقة مع ما تقتضيه شرائط الصحة . صحة الجسم والعقل والروح .

الراحة الواجبة

إذا تقدم بك السن فصرت في أصيل الحياة ، فاعمل بهدوء وتؤدة وتجنب العجلة وامش بهودة ، أي على قدر ما تجد عندك من طاقة ، فلا ترهق عضلاتك وأعصابك . ذلك بأن مقدار الحركة في الحياة يجب أن يتكيف دائماً بنسبة ما تجد في جثمانك من قوة ونشاط وكفاية كل يوم . فالراحة إلى الحد الواجب والتكاسل والنوم ، تصبح من الأشياء الضرورية اللازمة لمن هم في السبعين ، واغفلها أمرٌ لا يعين على السلامة .

فبعد أن تقضي عيشة هادئة ، بعيداً عن مهام حياتك ، مستقر النفس ، منصرفاً عما يبرها ويمضها ، فالفرش أولى بك إذا بلغت ساعتك التاسعة أو بعدها بقليل . والذين يشعرون بالقلق إذا جن الليل ، والذين يصابون بالأرق لغير سبب طبيعي ، يحمل بهم أن يلجؤا إلى حمام ساخن ، فانه خير ما يهدئ الأعصاب ، ويعيد للنفس استقرارها ، ويحلب

النعاس الهادي إلى الجفون المتعبة . فبعد عشرين أو ثلاثين دقيقة تقضيها في حمامك ، جفف جسمك بعناية ، واستلق طالبا الراحة موطئا نفسك عليها ، فيهوّم النعاس بعينيك ثم تنام راضي البال . فالتراخي والاستسلام إذا ما أويت إلى فراشك ، وانصرفك عن التملل والتقلب على جنبيك ، من مجربات النوم ، فإذا أعيذك الحيل وطار النوم من عينيك ، فالجأ إلى الطبيب غير متوان ، فإن ذلك خير سبيل ، وآمن وسيلة .

إن بذل أي جهد عضلي أو نفسي محاولة جلب النوم ، من أخص الأشياء التي تجلب اليك الأرق . وأعدى اعداء الأرق جلسة هادئة وعقل وادع ونفس مطمئنة . هنالك يأتيك النوم ساعيا اليك . ومن الضروري لك أن تعلم أن الراحة والهدوء عاملين من أعظم مجربات النوم . وعليك أن تقاوم ميلك إلى العقاقير المنومة ، لأنها أول بواعث التخدر ، فتحدث حالة من الخدر العقلي تهدك ، ولكنها ليست نوما طبيعيا ، وكل للعقاقير المنومة من العوامل المحدثة للعادات التي تستبد بك على اختلاف في الدرجة والقدر ، ولن يوصي بها انسان طام بحقيقة ما تؤدّي اليه .

ويجب الانتباه إلى الرياضة البدنية ومرانة الجسم خارج المنزل ، كلما كان ذلك مستطاعا . والمشي من الرياضات المثالية لجميع الناس وفي كل أطوار العمر ، فلا تهمله .

الازدحام بالطعام يخنزل العمر

الكلام في الحمية الواجبة لمن بلغ السبعين ، وبخاصة في عادات المأكل والشرب ، وفي ملاحظة الميل إلى الرّبالة ، من أخص ما ينبغي أن ينصرف إليه المعنيون بأمر صحتهم . فإن انصرافك إلى لذائذ المائدة ، أمر قد يجر عليك أمراضا كثيرة وآلاما أنت في غناء عنها .

فالمعدة الزدحمة لا يقف بها الأمر عند خلق الاضطرابات المعوية الشديدة ، بل انها عقبة كثوود تعوق حركة القلب عند المتقدمين في السن . والازدحام بالطعام من شأنه أن يحدث مع الزمن ميلا إلى الرّبالة ، وهي مما يؤثر في وصلات الجسم السفلى ، فتتراخي وتتعطّل عن القيام بوظائفها الحيوية . والنقرس من الأمراض التي يتفاقم أمرها ، إذا عيق القلب عن حركته الطبيعية ، ان لم تكن إعاقة القلب عن تأدية واجبه ، سببا في إحداث الاصابة به ، لأن القلب إذا عيق عن عمله ، اضطر إلى زيادة الجهد بنفسه كل رطل يزيد في وزن الجسم . والرّبلون قلما يمتد بهم العمر . وقد دلت التجارب على ان كل رطلين في الوزن تلقاء بوصة في الطول ، هو المعدّل الطبيعي للبالغين ، فاذا زاد المعدّل أو قلّ في نطاق عشر أرتال ، لم يدلّ ذلك على تجاوز ذي بال ، ولكن لا ينبغي أن يتعدّي ذلك .

يتطلب الاحتفاظ بالصحة غذاءً بسيطاً يطهى بطريقة خالية من التعقيد، والحديقة والحقل هما أمثل مكانين لتزويدك بالأغذية السهلة . والبقول تحتاج إلى الطهي ، أما الفواكه والجوز ، فقد طهتها الشمس ، فوق أنها مأكولات شهية غنية بضروب الفيتامين والمعادن . وهذه الأطعمة، مضافاً إليها اللبن والزبد والجن والبيض ، في مجموعها غذاء منشط كافٍ للاحتفاظ بحالة الصحة . واستكشاف ضروب الفيتامين ، قد أحدث انقلاباً في التغذية ، يعد الآن من أسس الصحة الجوهرية .

الكحول والطباق

ليس لتعاطي أنواع الكحول من مبرر بحال من الأحوال ، فانها جميعاً من أضر الأشياء بحالة الصحة . وبالرغم مما يعتقد أنه أكثر الناس ، قد انتهى الباحثون إلى أن أية كمية من الكحول صغيرة كانت أم كبيرة ، ليست من المنبهات في شيء ، بل هي على العكس من ذلك مخدرة مذهبة للحياة ، ولها مؤثرات تخل بكفايات العقل العليا . ويرجع إلى إدمانها الكثير من مآسي الحياة الانسانية .

وتشرب النيكوتين ، وهو سم الطباق الناقع ، عادة أخرى من العادات المستقبحة التي تخترل الحياة مادياً وعقلياً ، كما أبان عن ذلك بأجلى بيان « ريموند بيرل » الأستاذ بجامعة « جون هوبكنز » . فان هذا الخدر يترك أثره المباشر في الأعصاب والدماغ ، ويشير الزور والشعب الرئوية ، بالرغم مما يحاول البعض من المتأجرين بأعمار الناس أن يدخلوه في روع المدخنين . والنيكوتين من مسببات قرحة المعدة وبثور الأمعاء ، وهو مما يعوق دورة الدم ، بما يحدث في الشرايين من التصلب .

فاذا أردت أن تسمى كل ذلك فالجأ إلى الطبيعة . إلى حديقة حسنة التنسيق تناثرت فيها الزهور الجميلة والأشجار الغضة . وحياة الريف من أفعل الأشياء التي تفسيك همك وتقوم حياتك .

تجنب الوحدة

ومما يحسن بك أن تتجنب الوحدة ، وأن تلزم مصاحبة أقاربك وأصدقائك والذين هم من جيل أصغر من جيلك . فان ضحكات الأطفال وعيشهم ، وألعاب الشباب ومرحهم ، أشياء لها أثر بعيد في بعث الحيوية وتجديد الشباب ، فضلاً عما يعود على الجيل الناشئ من الفائدة مباشرة الكبار ، إذ يتزودون منهم بالنصائح الطريفة والمعلومات وتاريخ الأيام الماضية .

وعلى الرغم من أن التقدم في السن يضعف الذاكرة بعض الشيء ، فإن العقل من شأنه أن يتابع الاتساع والنماء طوال العمر ، والانسان مهما تقدم به السن في مكنته أن يتعلم شيئاً جديداً وأن يتزود من المعرفة بما لم يكن يعلم . وهناك من استطاعوا أن يستوعبوا لغات صعبة كالأغريقية بعد أن بلغوا الثمانين من العمر ، فثُربوها وتفقهوا في آدابها . فإذا عكفت على تعلم شيء من هذا وانصرفت إليه ، فإن ذلك مما ينسبك آلامك ويفيد صحتك ويوسع آمالك ويزيد رغبتك في المتعة بالحياة . لأن لكل طور من أطوار العمر متعة ، ومتعة الشيوخ الاتصال بالحياة من طريق جدي ، كتحصيل العلم أو استيعاب المعرفة .

ومن بلغ السبعين فأنما قد بلغ عصره الذهبي ، فمن واجبه إذاً أن يتمتع بحصاد ما زرع في أيامه الأولى ، بأن يقف حياته المفعمة بتجارب الزمن على خدمة الجيل الناشئ من أولاده وأقاربه والذين يلوذون بهم . فإذا كان ممن هم في سعة من العيش ، حف به سلام الحياة ، وإن له في الريف الجميل حياة أكثر سلاماً ودعة ، وفيه يجد طبيعة غضة الالهاب تزوده بما يفعم نفسه جمالاً وقلبه انشراحاً ورثتيه هواءً منعشاً يجدد كيانه .

طبيبك يوفر عليك مالاً ومريضاً

إن كثيراً من المرض والألم والمعضات مع ما يتبعها من نفقات وبذل ، يمكن تلافيها إذا بادر الناس بالذهاب الى الطبيب قبل أن يضطروا الى الذهاب اليه بزمَن يسير . وكل انسان في حاجة الى فحص كامل يقوم به طبيب الأسرة كل سنة على الأقل ، وما يبذل في سبيل ذلك ، إنما هو في الواقع اقتصاد مفيد . فإذا راعيت مع ذلك اتباع قواعد الصحة ، ضمنت حياة خالية قدر الامكان من كثير من الآلام التي تصاحب الشيخوخة

إذا تقدّم بنا السن فإن العظام تصبح قَصِفة هشّة ، حتى أن سقطتة على طنفسة ، قد تحدث فيها كسراً . وذلك يستدعى البقاء في الفراش مدة طويلة حتى تلتئم ، وقد لا تلتئم . وكذلك يصبح التوازن عسيراً واستقامة الجسم غير تامة ، مما يجعل احتمال السقوط متوقفاً في أي وقت . فعلياً أن نتجنب المشي على أرض الغرف المدهونة بالشمع والطنافس غير النابتة ، وينبغي أن نستعين بعضماً في طرفها الأسفل قطعة من المطاط تجعلها ثابتة . ويجب مع هذا التحفظ أن نحتاط من البرد والصقيع وتغير الطقس ، فإن طامة ذا يحدث اضطراباً في التنفس ، وقد ينشئ أمراضاً منها التهاب الرئة . ولا تتوان عن ترك الأماكن المزدحمة الحارة ، أو التي تساورها تيارات الهواء ، إذا أردت أن تتجنب الاصابة بمرض من أمراض البرد ، فإن صحتك ينبغي أن يكون لها الاعتبار الأول .

اصلاح الخط العربي

للكنتور - منى عفر اوى

عميد دار المعلمين العالية ببغداد

- ١ -

١ - تمهيد : ضرورة التيسير في اللغة

تيسير اللغة العربية أمرٌ تحممه نهضة العرب الحديثة . فان النهضات القومية لا تقوم في هذا العصر على أكناف فئة قليلة من الناس تترعما خصب ، بل على سواعد كافة أبناء الشعب . ولا تكون النهضة قوية الأركان إلا إذا كان يدعمها مناهج واسعة لتنقيف الجمهور ، وخلق وعي فكري وخلقى ومياسى واجتماعى فيه . ولما كانت اللغة تلعب دوراً هاماً في هذا المنهاج التنقيفى ، وجب لذلك تطويرها وتيسيرها لتصبح ملكاً مشاعاً لسواد الشعب العربى يستسيغها ويستسهل تعلمها .

ولقد سبق للغة العربية أن تطورت في جميع نواحيها أيام النهضة العربية الأولى بمجيء الاسلام وما عقبه من فتوحات العرب العظيمة واحتكاكهم بمختلف الأمم والشعوب . وكان ذلك التطور محتوماً بمقتضى الحياة الجديدة التي بدأ العرب يحيونها ، ولولاه لما اتسعت اللغة العربية لضروب العلوم والفنون والفلسفة وللمقتضيات التجارة ومائر أساليب العيش ، بل لوقفت حاجر عثرة أمام كل تقدم . ونحن اليوم في وضع يماثل وضع أمتنا الأول . نحن على أبواب حياة جديدة ونظام في العيش جديد ، نقتبس الأفكار والعلوم الحديثة وتتطور عقليتنا تطوراً جديداً نتيجة لاحتكاكنا بالأمم الأخرى ونتيجة لنزعتنا الجديدة الى الحياة الحرة المستقلة . ولم يعد من الكافي في عصرنا الحاضر أن يقتصر شعور النهضة والتنقيف على طبقة خاصة كما كان الأمر في العصور السالفة . فاما من أمة تستطيع حفظ كيائها في هذا الزمن ومسود شعبها جاهل . فذا كان الأمر كذلك ، وجب علينا أن ندخل على لغتنا

من التيسير ما يسهل اقتباسها وتعلمها على كافة أفراد الشعب العربي ، وذلك بتخليصها مما في خطها واملاؤها من الصعوبات ، ومما أدخله على صرفها ونحوها متحذلقو النحاة في القرون الوسطى من التعقيدات . كما ان علينا ان نجعل أدبنا سهلاً قريب المنال من طامة الشعب بتخليصه من معقد التراكيب وغريب المفردات ، وأن نكون أدباً للاطفال يستهويهم ويحب اليهم آدابهم ولغة آبائهم . وما القصد من ذلك سوى تسهيل طريق النهضة القومية وتيسير انتشار اللغة القومية وآدابها بين أبنائها ، فبدل أن تكون لغة يستصعبها حتى الخاصة ، تصبح لغة سهلة المنال على العرب اجمعين . وهذا وحده أعظم سبيل لتعزيز اللغة العربية واعلاء شأنها وضمان اطراد تقدمها . فطريق النهضة اذاً هو طريق التيسير والتبسيط واطراح الحشو والتعقيد .

وليست هذه المشكلة مشكلة لغوية أدبية خصب ، بل هي مشكلة تربوية عظيمة . فالمرءون والمعلمون هم الموكلون بتعليم اللغة العربية وهجائها وآدابها لأبناء الأمة ، وما يلاقونه من صعوبة في تعليمها واضح لدى كل ذي عناية بهذا الموضوع . وقد ننهي على المعلمين والمربين بحق أساليبهم العقيمة في التعليم ونعزو إلى هذا العقم سوء تعليم اللغة ، ولكننا يجب أن نكون منصفين فنسمع من المعلمين والمربين شيئاً عن المصاعب التي يلاقونها في تدريسهم ، يرجع الى طبيعة اللغة وكتابتها وشيئاً عن آرائهم في كيفية تلافي ذلك .

٢ - اصلاح الخط العربي

على اننا في هذا المقال نود أن نحصر بحثنا في اصلاح الخط العربي ، تاركين البحث في تيسير الصرف والنحو وأساليب الكتابة والتعبير ، على كثرة ما يمكن أن يقال فيهما . ولا بد لنا من القول منذ البدء اننا لسنا من دعاة الانقلاب في تعديل الخط العربي . بل عقيدتنا هي ان ضرر الانقلاب في مثل هذه الأمور أكثر من نفعه . ولعل دعاة الانقلاب في تعديل الخط العربي مسئولون بعض المسئولية عن المقاومة التي تلقاها الدعوة إلى هذا التعديل ، وذلك لرد الفعل الذي يخلقونه بما يقدمون من الاقتراحات المتطرفة .

ونود أن نقرر هنا ان تعديل الخط يجب أن يكون مستمداً من طبيعة خطنا ، يعدله ويبسطه في التفاصيل . ولكنه يحتفظ بأساسه وجوهره . وكل اصلاح يتعدى هذه الحدود هو غير عملي التطبيق ، لا لما يلقاه من المقاومة خصب ، بل للضرر الذي قد يدخله على اللغة ، فلا بد لنا من التسليم بأن للحروف العربية مزيتين عظيمتين تحسدنا عليهما سائر اللغات .

المزية الأولى هي انها مبينة على أساس صوتي صحيح يطابق فيه اللفظ الصوت إلى أبعد حد، وهذا ما لا يتوفر في معظم اللغات الأوروبية الحديثة. والمزية الثانية هي ان الحروف العربية أشبه بالاختزال، لأن طريقة الكتابة فيها تعتمد على إهمال الحركات في معظم الأحيان، والاقتصار على الحروف الصحيحة التي تكون لباب الكلمات. نقول ذلك ونحن نعلم أن من الباحثين من ينعي على اللغة العربية نفس هذه المزية. وسنبين وجه الغلو في هذه النظرية فيما بعد، على أننا نعتقد أن كل إصلاح للخط العربي يجب أن يأخذ هاتين الميزتين بعين الاعتبار فلا يعمل على هدمهما.

ومن هنا يظهر خلل الفكرتين القائلتين بالأخذ بالحروف اللاتينية، وكتابة الحركات بطريقة الحروف. أما مشكلة الحركات فسنعود إليها فيما بعد. وإنما نود أن نحلل هنا الفكرة القائلة باقتباس الحروف اللاتينية لكتابة اللغة العربية، على غرار ما فعلته تركيا وليس غرضنا من ذلك إن ندحض هذا الرأي فحسب، فقد لا يحتاج ذلك إلى كثير عناء، ولكن لنوضح مزاي الخط العربي، ولنبين كيف أن بضعة تعديلات بسيطة في خطنا لا تمس جوهره، كافية لجعله أحسن خط ممكن لكتابة اللغة العربية في العصر الحاضر، ومن أسهل خطوط العالم

٣ - الموازنة بين الخط العربي والخط اللاتيني

إن أهم ما يستند إليه دماء الأخذ بالخط اللاتيني نقطتان — هذا اذا امتنينا مشكاة الحركات التي منعود إليها :

أما النقطة الأولى فهي أن الخط اللاتيني أبسط من العربي، لأن للحرف فيه شكلاً واحداً لا يتبدل، ولأن الحرف منفصل دائماً بحيث يمكن للقارئ أن يحلل الكلمات إلى حروفها ويؤلف من الحروف كلمات بكل سهولة، على عكس الخط العربي الذي تتصل حروفه بعضها ببعض في الكلمات، وتبديل أشكالها بحسب مواقعها. وأما النقطة الثانية فهي إنهم يشيرون إلى نجاح تركيا في اقتباسها الخط اللاتيني ومساعدة ذلك لها على نشر التعليم فيها بسرعة.

أما النقطة الأولى وهي بساطة الخط اللاتيني وعدم تبدل أشكاله، فلا أساس لها بل هي في الغالب إدعاء ناتج عن قلة تدقيق في الخط اللاتيني. فالواقع أن الخط اللاتيني ليس خطاً واحداً، بل خطين، أحدهما يستعمل في الطباعة. وثانيهما خط يدوي يستعمل للكتابة الاعتيادية،

ومع أن بعض الحروف بين هذين الخطين واحدة أو تتشابه تشابهاً يختلف في قربه أو بعده، إلا أن جانباً غير قليل من حروف الطبع يختلف في شكله عن حروف الكتابة. أضف إلى

A B C D E F G H I J K L M N O

a b c d e f g h i j k l m n o

A B C D E F G H I J K L M N O

a b c d e f g h i j k l m n o

P Q R S T U V W X Y Z

p q r s t u v w x y z

P Q R S T U V W X Y Z

p q r s t u v w x y z

شكل (١)

ذلك أن حروف الخط البدوي تتصل بعضها ببعض كما تتصل حروف الخط العربي. ثم إن كل

واحد من هذين الحرفين له شكلان ، الشكل الكبير وهو ما يعرف بالانكليزية بـ Capital letter وبالا فرنسية بـ Majuscule والشكل الصغير أي Small letter أو Minuscule . وهكذا يصبح لكثير من الحروف اللاتينية أربعة أشكال بدلاً من شكل واحد كما يزعمون . ونظرة واحدة إلى جدول الحروف اللاتينية تكفي لإيضاح هذه النقطة وبيان الفروق بين الحروف . (الرسم ١) أما الخط الألماني فهو على ثلاثة أنواع لاتيني وقوطي Gothic ويدوي . ولكل من هذه الأنواع شكلان كبير وصغير بحيث يصبح مجموع أشكال بعض هذه الحروف ستة ، لا شكلاً واحداً . أما الخط العربي وإن كان شكل الحرف فيه يتبدل بحسب موقعه في الكلمة ، إلا أنه هو هو في خطي الطباعة والكتابة لا تبدل فيه إلا ما ندر .

وهناك من يعيب على الخط العربي تقارب كثير من أشكال حروفه كالباء والناء والثاء والنون ، وكالجيم والحاء والخاء وغير ذلك . فانها لا تختلف احداها عن الأخرى إلا في وجود النقط أو فقدانها وفي عدد هذه النقط إذا وجدت . على أن شيئاً من هذا التشابه في أشكال الحروف موجود أيضاً في الحرف اللاتيني . فهناك في الحرف المطبوع التشابه بين الـ q والـ d فانهما لا يختلفان إلا بقلب أسفلهما ، وتشابه بين الـ b والـ h وبين الـ b والـ q . وفي الخط اليدوي نجد تشابهاً كبيراً بين الـ b والـ h والـ h والـ x والـ l وتشابهاً كثيراً ما يدعو إلى الإبهام بين الـ a والـ o وبين الـ n والـ u .

ولقد أسهبنا في هذه النقطة ، لا لكي ننقد الخط اللاتيني ، بل لنبين أن بعض الصفات المنتقدة في الخط العربي موجودة في الخط اللاتيني أيضاً ، وإن كان وجودها ليس بمقدار ما هي عليه في الخط العربي ، وإن التبدل إلى الخط اللاتيني ، لن ينجينا منها بتاتاً .

على أن قراءة أية لغة وكتابتها لا تتوقفان على مجرد معرفة أصواتها وحروفها ، بل تعتمدان إلى حدٍ بعيد على كيفية اجتماع هذه الأصوات والحروف في كلمات ، وما يطرأ عليها من التبدل في اللفظ باجتماعها هذا . ومن هذه الناحية تفضل اللغة العربية معظم اللغات الأوروبية بمراحل ، وعلى الأخص اللغة الانكليزية ، وبدرجة ثانية اللغة الافرنسية . فالحرف في اللغة العربية هو هو ، له الصوت نفسه ، دون تبدل أينما حل من الكلمة في أولها أو وسطها أو آخرها ، ومهما كان نوع الحرف الآخر الذي يجتمع به . أي أن الخط العربي موضوع على أساس صوتي قويم ، تطابق فيه الحروف الأصوات مطابقة تكاد تكون كلية . ولا يخرج عن هذه

المطابقة الاً حالات معدودة ككتابة الهمزة ، وكالفرق بين التاء المربوطة والتاء الطويلة
والتمييز بين الالف المقصورة والطويلة ، وبين الظاء والضاد عند أهل العراق والجزيرة لا عند
أهل الشام ومصر .

وإذا استثنينا هذه الحالات الشاذة وغيرها قليل ، كانت الكتابة العربية صوتية لا غبار
عليها في تركيبها ، وهذا عامل تسهيل عظيم في الكتابة العربية واملائها .

وليس الأمر كذلك في اللغات الأوربية التي تستعمل الخط اللاتيني — على كل حال في
تلك اللغات التي لي شيء من الاطلاع فيها وهي الانكليزية والفرنسية والالمانية . فان تركيبها
الصوتي تشوبه كثير من الشوائب . ولعل الألمانية أحسن اللغات الثلاثة من هذه الوجهة
والانكليزية أبعداها عن المنطق والنظام والفرنسية واقعة في محل وسط بين الاثنين .
وهنا نبدأ آتي ببعض الأمثلة في اللغة الانكليزية لأوضح الفرق العظيم بين بعض اللغات الأوربية
واللغة العربية في هذا الشأن .

خذ مثلاً حرف الـ u في الكلمات التالية : Cure, Cup, Superior, Burst فهو
يقرأ (يو) في الأولى و (أ) مفخمة في الثانية و (أو) في الثالثة و (e) الفرنسية في
الرابعة . أي ان هذا الحرف يلفظ بأشكال أربعة يختلف أحدها عن الآخر اختلافاً بيناً .
أو خذ الحروف ough في الكلمات Through, Borough, Rough فهي تلفظ (أو) في
الأولى و (o) في الثانية و (ف) في الثالثة . وعلى ذكر صوت الفاء فهناك ثلاث طرق
لتدوينه في اللغة الانكليزية تتجلى في الكلمات Form, Philosophy, Rough . ولحرف
التاء أيضاً أربعة أصوات تظهر في الكلمات Turn, Action, Nature, Bottle . أما
الحروف التي تكتب ولا تلفظ فحدث عنها ولا حرج . ومثل هذا الشذوذ عن الأصول
الصوتية كثير تجده في اللغة الانكليزية أينما تلفت ، بل هو القاعدة ، والانتظام الصوتي
لل كلمات والحروف هو الشاذ ، حتى اشتهرت اللغة الانكليزية بذلك ، وحتى أصبح تعلم الاملاء
والهجاء الانكليزيين من الأمور الصعبة . وعلى الطالب المتكلم باللغة الانكليزية أن يتخبط
في هذه المتاهة سنوات ليتمكن من تعلم املاء كلمات لغته ولفظها . وأصبح الاملاء الانكليزي
من المواضيع المهمة التي تدرس في المدارس مع ان الاملاء العربي عندنا يعتبر في التدريس
أمراً ثانوياً . وهذا الخلل الصوتي في الانكليزية موجود بدرجة أقل في اللغة الافرنسية ،
ولكن وجوده لا يستهان به ولولا خشية الاطالة لجئنا بأمثلة عليه .

٤ - الفرق في النشأة بين الخط العربي والخط اللاتيني

وهنا يحق لنا أن نتساءل عن العلة في أن الحروف العربية صوتية في الغالب وعن تطرق الخلل من الوجهة الصوتية في كتابة اللغات الاوربية . ولكي نجيب عن هذا السؤال علينا أن نرجع إلى تاريخ نشوء الخط . ولعلّ الجواب الذي نتوصل اليه يعطينا فكرة أساسية عن طبيعة الخط العربي تفيدنا في معالجتنا المشكلة التي نحن بصدد حلها .

كان الفينيقيون أول من وضع حروف الهجاء ونشرها في أنحاء العالم المتمدن المعروف إذ ذاك . ويظهر أنهم اقتبسوها عن الكتابة المصرية ، إلا أنهم وضعوها على أساس صوتي ، بأن جعلوا لكل صوت حرفاً خاصاً به . والفينيقيون قوم من الساميين كانوا أكبر تجار عصرهم ، ينقلون البضائع بين الشرق والغرب ، وكانوا يحتاجون إلى طريقة سهلة مختصرة لتسجيل معاملاتهم التجارية فاخترعوا حروف الهجاء لهذا الغرض . وأخذ الآراميون الكتابة عن الفينيقين ، وأخذ النبطيون وهم قوم من العرب كانوا نازلين في وادي موسى والبطراء ، بين التاريخين الميلادي والمجري ، الكتابة عن الآراميين . وتدل البحوث التي قام بها العلماء عن الخط العربي ومقارنة الخطوط العربية القديمة بالخط النبطي ، أن الخط العربي الشائع اليوم أخذ من الخط النبطي ونما وتطور ، حتى أصبح بالصورة التي نعرفها اليوم .

إن اللغات الفينيقية والآرامية والنبطية والعربية لغات سامية قريبة أحداها من الأخرى وترجع إلى أصل واحد . وإن شئت فقل إنها لهجات من لغة واحدة تختلف في بعدها عن الأصل ، منها القريبة ومنها البعيدة . يدل ذلك على ذلك أن الأفعال الأساسية فيها ثلاثية كما في اللغة العربية ، تشتق منها بقية الصيغ ، وإن جانباً كبيراً من مفرداتها مشترك مع تحريف بسيط ، وإن معظم أصواتها مشترك أيضاً . فلما وضع الفينيقيون الألفباء ، جاءت حروفهم صوتية منطبقة على لغتهم اشد الانطباق . ولما كانت اللغات السامية الأخرى التي اقتبست خطها منهم قريبة من الفينيقية ، لم تجد في هذا الاقتباس كبير عناء ، ولم تجد ضرورة إلى إجراء كثير من التبدل والحذف أو الإضافة أو تركيب حرفين أو أكثر للدلالة على صوت واحد ، كما تراه في اللغات الاوربية . بل إننا نجد أن أحرف « أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت » هي في الآرامية وفي العربية ، وقد زادت العربية عليها أحرف « نخذ ، ضطغ » . ونجد أن كل اللغات السامية التي تكتب بالحروف الأبجدية تشارك في صفة واحدة ، هي إهمال الحركات وكتابة الأحرف الصحيحة فقط مع حروف المد كما نفعل نحن في اللغة العربية . وصفوة القول ، إن الخط الهجائي نشأ على أساس لغة سامية ، وانتشر منها إلى قريباتها ، وتطور

بمقتضى تطوّر هذه اللغات حتى وجد الخط العربي وهو من أحدث الخطوط في اللغات السامية ، إن لم يكن أحدثها . فالخط عندنا إذاً مستمد من طبيعة اللغة ، متصل بها اتصالاً وثيقاً ، مطابق لها مطابقة صوتية كبيرة بحكم نشأته التاريخية . وهذه حقيقة لا ينتبه اليها دعاة الأخذ بالخط اللاتيني .

وليس هذا حظ الخطوط اللاتينية . فان الفينيقيين في أسفارهم في البحر المتوسط أعطوا خطهم الى اليونان ، وهؤلاء أعطوه الى الرومان اللاتينيين ، ومن الخط اللاتيني استمدت الأمم الأوربية الحديثة حروف هجائها . على أن اللغات الأوربية ليست سامية بل هي طائفة من اللغات قائمة بذاتها ، تختلف اختلافاً عظيماً في مفرداتها وتراكيبها وأصولها اللغوية عن اللغات السامية ، كما تختلف عنها أيضاً في عدد غير قليل من أصواتها . ففي اللغات السامية أصوات غير موجودة في اللغات الأوربية . وفي هذه أصوات تزيد على أصوات اللغات السامية ، ولم يكن الفينيقيون بالطبع قد وضعوا لها رموزاً وحرفاً ، فاضطر الأوربيون إذاً ، إمّا أن يضعوها حروفاً جديدة ، أو أن يعطوها للحرف الواحد أكثر من صوت واحد ، أو أن يؤلفوا حرفين وثلاثة للرمز عن صوت واحد ، كما تفعل الانكليزية للرمز عن (چ — ch) و (ش — sh) و (ث و ذ — th) وهذان الحرفان الأخيران ، يرمان كما ترى إلى صوتين ، هما الناء والذال .

هذا على ما نرى هو السبب الأساسي الأصيل في تطرق الخلط من الناحية الصوتية الى بعض خطوط اللغات الأوربية . فإذا كانت الحروف العربية وحروف اللغات السامية ، منطبقة على لغاتها وأصواتها أشد الانطباق ، لأنها نشأت ونمت مع هذه اللغات وهي مستمدة من طبيعتها ملازمة لها ، فان اختلال الخطوط الأوربية ، وبالأخص الحديثة منها بعض الاختلال ، يعود الى أن الخط الهجائي ليس أصيلاً فيها ، بل هو دخيل عليها ، نشأ في لغة أجنبية بعيدة عنها . والفرق بين الخط العربي والخطوط الهجائية السامية من جهة ، وبين الخطوط الأوربية من الجهة الأخرى ، هو كالفرق بين الأصيل والتقليد . وإذا كانت الخطوط الأوربية بعد تطور ما يزيد على الألف سنة ، أصبحت تسد حاجات اللغات الأوربية ، فليس ذلك دليلاً على إنها صالحة للعقنا . ومن صعب عليه تصديق ذلك ، فليُنظر الى محاولات المستشرقين كتابة الكلمات العربية بحروف أوربية ، ويشاهد مقدار النقط والخطوط والعلامات التي يضطرون الى استعمالها للرمز إلى الكلمات العربية ، وليرى كيف أن السكامة التي تكتب عندنا بثلاثة حروف ، تكتب عندهم بخمسة أو ستة ، وكيف انه تصعب عليه قراءتها ، مهما كان بارعاً في قراءة الرموز اللاتينية .

❌ قيود ✓

قضى زماني عليّ أني أمشي ورجلاي في القيود
 حال بها في خطاي يمشي ذل الأسير الخطي المقود
 ويلاه مما لقيت منها ويلاه للسيد المسود
 إبليس لو ذاقها قديماً لما عصى الأمر بالسجود

* * *

ظلمت، ولكن أنّى قضائي! أو أين لي فيه بالشهود؟
 من مثله لم يزل لعيسى دم على مذبح اليهود
 يارب فيم الوجود إذ لم تمنحه حرية الوجود؟
 وأينما صالح يولّي وجهاً، فلا بُدّ من ثمود

* * *

يا زمني فيك وجه عادٍ فهل ترى في وجه هود؟
 أبشر وثق بي فلا نبي يبعثه الله للقروء

محمود أبو الوفا

تحقيق لغوي

في مادة (تلمذ)

بقلم عبد السلام محمد هارون

لعل كلمة « تلمذ » من أكثر الكلمات دورانا في دور العلم ومعاهد الدراسة، وهي من الكلمات التاريخية التي دخلت في أطوار مختلفة من الدلالة حتى استقرت الآن في معنى طالب العلم . بيد أن تأصيل هذه الكلمة وبيان مشتقاتها وجمعها يحتاج إلى توضيح وتوقيف . وقد كنت قديما على أن أكتب فيها تحقيقا شاملا ، ولكنني وجدت رسالة البغدادي في هذا التحقيق من أوفى ما كتب في هذه الناحية ، فأثرت أن أجعلها تحفة للأدباء من قراء « المقتطف » تغنيهم عن التطلع إلى ما وراءها .

والبغدادي هو عبد القادر بن عمر البغدادي ، صاحب خزانة الأدب ، المولود في بغداد سنة ١٠٣٠ والمتوفى بمصر سنة ١٠٩٣

ورسالته تلك التي نشرها ، منها نسخة بالخزانة التيمورية ، وثلاث أخرى بخزانة دار الكتب المصرية ، إحداها برقم ٦ مجاميع ش والثانية برقم ١٨١ مجاميع ، والثالثة برقم ١٢٢ مجاميع . وقد قابلت النسخ الثلاث الأخيرة بعضها ببعض ، ورمزت إليها بالرموز أ ، ب ، ج على ترتيبها . وأصح هذه النسخ وأكملها نسخة ب . وكل ما أثبتته بين علامتي الزيادة فهو منها .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه الطيبين الطاهرين .
[أما بعد] فهذه كلمات ذكرتها لمعنى التلمذ ، فأني لم أجدها هذه الكلمة المذكورة في كتب اللغة المتداولة ، المدونة [لبيان] الجليل والحقير ، وذكر النقيير والقسطمير ، كالمجهر لابن دريد ، والصحيح للجوهري ، والمحكم لابن سيده ، والعياب للصافاني ، والقاموس

لمجد الدين الفيروزبادي ، وغيرها ، إلا في لسان العرب لابن مكرم ، فإنه أوردته في مادة (تلمذ) وقال : « التلاميذ الخدم والأتباع ، وأحدهم تلميذ » مع أنها كلمة متداولة بين العام والخاص . وكثيرة الاستعمال في تأليف العلماء الأعلام .

وكان الباعث لهذا أني لما قرأت كتاب مغني اللبيب ، ووصلت إلى قوله في الباب الخامس « حكى لي أن بعض مشايخ الإقراء أعرب لتلميذ له بيت المفضل »^(١) رأيت شارحه الفاضل إبراهيم بن الملا الحلبي^(٢) قال : « التلميذ القارئ على الشيخ . ولم أقف عليه في شيء من كتب اللغة المتداولة كالصحيح والقاموس وغيرها » . اهـ

حينئذٍ تتبعت بطون الدفاتر ، من مصنفات الأوائل والأواخر ، حتى رأيت في كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري ، فإنه ساق^(٣) فيه شعراً للبيد بن ربيعة العامري الصحابي ، وفيه هذا البيت :

فالماء يجلو متونهم كما يجلو التلاميذ لؤلؤاً قشبا^(٤)

وقال بعد إنشاد الأبيات : « التلاميذ غلمان الصنّاع . والقشيب والقشيب الجديد . والجمع القشيب »

ورأيت أيضاً في شعر أمية بن أبي الصلت ، وهو شاعر أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يوفق للإيمان به . وغالب شعره في الوعظ وتذكير الآخرة وقصص الأنبياء ، وهو مما لا يكاد يقضي العجب منه . قال في قصيدة :

والأرض معقلنا وكانت أمنا فيها مقامتنا وفيها نولد
وبها تلاميذ على قدقاتها حبسوا قياماً فالقراض تُرْعَدُ^(٥)

قال شارح ديوانه : « التلاميذ الخدم ، يعني الملائكة » .

وقال أيضاً في قصيدة أخرى

صاغ المعاء فلم يخفض مواضعها لم يفتقص علمه جهل ولا هرم
لا كشفت مرة عنا ولا بليت فيها تلاميذ في أقفاصهم دعم

(١) الفصل للمختصر في النحو . انظر شرح ابن يعيش (٢ : ٩٤) . والبيت هو :

لا يبع الله التلب والتبا رات إذ قال الخيس : نعم

(٢) هو إبراهيم بن الملا محمد الحلبي المتوفى سنة ٩٧٩ . ذكره في كشف الظنون . وفي ١ ، ح : « حلبي »

موضع : « الحلبي » تحريف .

(٣) ١ ، ح : « سابق » والصواب في ب .

(٤) البيت في ديوانه ص ١٤١ بشرح الطوسي . وفيه : « التلاميذ غلمان الصاغة ... التلاميذ فارسي » .

(٥) القدقات : جمع قدفة ، بالضم ، وهي الناحية .

وقال شارحه هنا أيضاً كذلك .

ورأيت في المقامة الأولى من المقامات الحيرية قوله : « فوجدته محاذياً لتلميذ ، على خبز سميد ، وجدي حنيد ، وقهاتهما خابية نبيد ^(١) » . قال شارحه الشريشي : « التلميذ متعلم الصنعة ، والتلميذ الخادم ، والجميع التلاميذ » . وأنشد بيت لبيد المتقدم ، ثم قال : « وطلبة العلم تلاميذ شيخهم » . اهـ

وإهمال داله لغة فيه ، قال أمية بن أبي الصلت في القصيدة الدالية التي تقدم إنشاد بيتين منها :

فضى وأصعد واستبدَّ إقامةً بأولى قوى فبتَّسل ومُتلَمَّد

قال شارحه : « يريد متلَمَّد ، أي خادم من التلاميذ . وتُتلَمَّد جعل للخدمة . وروى متلَمَّد بكسر الميم . وأراد بأولى قوى الملائكة الذين يحملون العرش . وقوله : فضى يعني الله عزَّ وجل . واستبدَّ ، يعني لا يستشير أحداً ، يقال استبدَّ فلان برأيه إذا لم يستمع أحداً على ما يريد . والمبتَّسل المفرد » . انتهى .

ويؤخذ منه أن تاءه أصلية . ووزن تلميذ فعَلِيل ، وأن له فعلاً متصرفاً هو تلمذه كدحرجه ، بمعنى خدمه ، يتلمذه كيدحرجه ، تلمذة وتلمذا ، كدَحْرَجَةٍ ودَحْرَجَا ، فهو متلمذ كمُسدَّ خُراج بمعنى خادم ، وذلك متلَمَّد أي جعل خادماً ^(٢) . وإطلاق التلميذ على المتعلم صنعة أو قراءة ، لأنه في الغالب يخدم أستاذه .

وقول الناس : « تَلَمَّذْهُ » و « تَلَمَّذْ مِنْهُ » بتشديد الميم ، خطأ ، لأنهم توهموا أن الياء زائدة ، وليس كذلك ، وصوابه « تَلَمَّظْهُ » و « تَلَمَّظْ مِنْهُ ^(٣) » بالطاء المشالة المعجمة . ولمَّا ظَهَر أي أطعمه وأذاقه . والتلمظ : تتبع اللسان بقية الطعام في الفم . وقد يكنى به عن الأكل ، استعير للتعليم شيئاً فشبيهاً .

والتلميذ يجمع على تلاميذ ، فَإِنَّ فَعْلِيلًا يجمع على فَعَالِيل ، كبرطيل وبراطيل ، وغفريت وغفاريت ، وقنديل وقناديل ، وإصليت وإصاليت ، وإبريق وأباريق ، ومُسْنَدِيل ومناديل .

(١) هذا سهو من البغدادي ، فإن الشريشي في هذا الموضع لم يقل إلا : « تلميذ : متعلم الصنعة » انظر الشريشي (١ : ٢٩ س ١) وأما الكلام الذي نقله البغدادي بهـ فهو تعليق على قول ابن الحريري : « فالتفت إلى تلميذه وقلت عزمت عليك بمن تستدفع به الأذى ، لتخبرني من ذا » انظر الشريشي (١ : ٣٠) .

(٢) الأولى من تلمذه بمعنى خدمه ، والأخيرة من تلمذه أي جعله خادماً

(٣) هذه فتوى لغوية لبغدادي . ولا يستعمل هذا التعبير ، ولا أظنه سائغاً

وأما قولهم في جمعه «تلامذة» فعلى توهم أنه اسم أعجمي^(١)، فإن الهاء في الجمع تكون في أحد ثلاثة مواضع: (أحدها) الاسم الأعجمي العرب، سواء كانت للتعويض عن مدة^(٢) نحو أستاذ وأستاذة، أم لا نحو موزج وموازجة وكيلجه، وكيلجة. (ثانيها) للتعويض عن ياء النسب في المفرد، نحو أشعشي وأشاعنة، ومهلي ومهالبة، وأزرق وأزارقة (ثالثها) للتعويض [إما] عن ألف خامسة جوازاً نحو حبسطي وحبافطة، وعفري وعفارنة وإما عن [عين]^(٣) مضاعفة نحو جبار وجبارة. وفي غير هذه المواضع الثلاثة قليل نادر كفعولة وحجارة.

قيل^(٤): وقد يرخم التلاميذ في الشعر على تلام، كقول الطرماح:

تسقى الشمس بمدرية كالحاليج بأيدي التلام

والحاليج: منافخ الصاغة الطوال، واحدها حملوج، شبه قرن البقرة الوحشية بها. قال الجواليقي في المعربات^(٥): «التلام أعجمي^(٦) معرب، قيل هم الصاغة، وقيل غلمان الصاغة، وقيل هم التلاميذ» وأنشد هذا البيت.

وأنشد ابن بري في حاشية الصحاح قول غيلان بن سلمة النقي^(٧) أيضاً:

وسربال مضاعفة دلاص قد أحرز شكها صنْعُ التلام

وروى: «التلام» في البيتين بفتح التاء وكسرهما. أما الفتح فعلى أنه مرخم التلاميذ ضرورة. وقد اقتصر عليه صاحب الصحاح، وقال: «التلام التلاميذ سقطت منه الدال».

وصاحب الصحاح تابع في هذا لأبي علي، قال في المسائل العسكرية^(٨): «ومن قببح الضرورة قول الشاعر: مثل الحاليج بأيدي التلام»

قالوا: يريد التلامذة، فحذف. وقد أعلمتك أن ذلك لا يكون على الترقيم فيما تقدم. إلا أنه قد جاء من هذا النحو ما لا يكون في الترقيم كقول^(٩):

دَرَسَ الْمَنَسَا بِمَنَالِ فَأَبَانَ

(١) كأن البغدادي يذهب إلى أنه عربي (٢) ح: «مدة» (٣) كتبت كلمة «عين» في أ، ح لكن جعل فوقها خط علامة على الخطأ. وإثباتها عين الصواب كما في ب.

(٤) ح: «قليل» وذلك على أنها متصلة بكلمة «حجارة» والوجه ما أثبت من ب كما يفهم من السياق. (٥) المعرب للجواليقي طبع دار الكتب ص ٩١ (٦) ح: «قيل معرب» وكلمة:

«قيل» مقحمة (٧) شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام. ترجمته في الإصابة ٦٩١٨ والافاني (١٢: ٤٣ — ٤٧) (٨) المسائل العسكرية لأبي علي الفارسي المتوفى سنة ٣٧٧. نقل منها البغدادي

نصوصاً قيمة في مواضع شتى من الخزانة. انظر (٩: ١٤، ٩: ٢٠، ١٠: ٢٧٥، ١٠: ٥٢٢، ٣: ٤٦/٤: ٦٧، ٧٣، ٥٨٢). ح: «مسائل العسكرية» تحريف.

(٩) هو لبيد بن ربيعة. والبيت مطلع قصيدة له في ديوانه ص ٦١ طبع فينا سنة ١٨٨٠

قالوا : يريد : المنازل . ومثل ذلك ما أنشدوه لأبي ذؤاد^(١) الإيادي :
فكأنما تُذكي سناجبها حبساً^(٢)

قيل يريد الجباب ، أي نار الجباب . وفي التنزيل : فالموريات قدحاً « انتهى كلامه
وأما الكسر فعلى أنه جمع « تلم » بكسر فسكون ، بمعنى الغلام . قال ابن مكرم^(٣) :
فن^(٤) رواه : التلامي ، بفتح التاء وإثبات الياء ، أراد التلاميذ ، يعني تلاميذ الصاغة .
هكذا رواه أبو عمرو ، وقال : حذف الذال من آخرها^(٥) ومن رواه : التلام ، بكسر
التاء ، فإن أبا سعيد قال : التلم الغلام . قال : وكل غلام تلم ، تليذاً كان أو غير تليذ .
والجمع^(٦) التلام . وقال ابن الأعرابي : التلام الصاغة ، والتلام الأكرة . انتهى
وأقول : « الصاغة » تصحيف من الصناع^(٧) لوقوعه في صحبه الجماليج . ويدفعه البيت
الثاني^(٨) .

وقال صاحب القاموس : « التلم ، بالكسر : الغلام ، والأكار ، والصائغ أو منفعة ،
الطويل^(٩) . والجمع تلام . وكسحاب : التلاميذ ، حذف ذاله . ولم يذكر الجوهري غيرها ،
وليس من هذه المادة [و] إنما هو من باب الذال » . انتهى
أقول : أما قوله : « الأكار والصائغ » فقد أخذه من قول ابن الأعرابي ، على أن
الصاغة والأكرة بالتحريك جمع صائغ وأكار .
وأما قوله : « أو منفعة^(١٠) » فقد أخذه من قول بعضهم ، وقد غلط فيه .
نقل الأزهري عن الليث أن بعضهم قال : التلام الجماليج التي ينفخ بها . قال :
وهذا باطل^(١١)

والعجب من صاحب القاموس ، أنه اعترض على صاحب الصحاح في ذكره التلام في باب
الميم ، مع أنه أثبت مثله ، ولم يذكره في باب الذال .
عبد السلام محمد هارون

(١) ح : « أبو ذؤاد » بالهز . (٢) روي البيت في اللسان (١ : ٢٨٨) هكذا :

يندرين جندل حائر جنوبها فكأنها تذكي سناجبها الحبا

(٣) في لسان العرب مادة (تلم) (٤) في الاصل : « ومن » و صواب النص من اللسان .

(٥) أسقط البغدادى هنا قول ابن منظور : « كقول الآخر :

لها أشارير من لحم تتمره من الثعالي ووخز من أرائنها

أراد من الثعالب ، ومن أرائنها » وهذا البيت لأبي كامل البشكري كما في اللسان (٥ : ١٦١)

(٦) في الاصل : « والجمع » وأثبت ما في اللسان .

(٧) ح فقط : « في الصناع » (٨) يشير الى بيت غيلان بن سلمة . ح : « في » مكان : « ويدفعه »

محرف . (٩) ح : « والصانع » بالنون و « منفعة الطويل » صوابها ما أثبت من ب . (١٠) ح : « أو منفعة » محرف . (١١) في اللسان : « قال أبو منصور — وهو الأزهري — قال الليث : إن

بعضهم قال : التلاميذ الجماليج التي ينفخ فيها . قال : وهذا باطل ما قاله أحد » .



٧ الخطايا العشر

هنالك عشر خطايا اجتماعية ينبغي علينا ان نقضي عليها
بالقضاء على بواعثها . فاذا افلحنا فنحن الى السلام ، واذا
أخفقنا فنحن الى الدماء والعرق والدموع .

العالم في مخاض . أما ما مستلذ الأيام فذلك سرٌّ مُغَيَّب في جوف المستقبل . يشعر الناس شعوراً خفياً بأن من وراء المظاهر المدنية القائمة دائماً دفين ينخر في نظام الجماعات ، ويفكك من تماسكها ، ويحلل من روابطها التي أضفت عليها التقاليد ثوباً من القداسة ، تلك القداسة التي عملت في أمسها العتيقة معاول التطور الانساني .

لو أن الانسانية استطاعت أن تسير الخطى التطورية التي سار فيها العقل ومضى فيها العلم ، ولم تقف عند الحد الذي أراد السياسيون وقادة الامم من محترفي الحكم ان تقف عنده ، إذا لكان شعورنا بما ينتظر الجماعات من مشكلات المستقبل القريب أميل الى التفاؤل . ولكن العقل الفردي والعلم ، وهما من الخصائص الفردية ، قد سارا بخطى واسعة لم تستطع الجماعات أن تتابعها ، والجماعات هي ما نعلم تكويناً وفطرة ، فعقليتها أقل تقبلاً للتجديد وأعصى على فهم الحقائق وأعمر قياداً وأقل ليناً ، وأبعد عن مرونة الأخذ والعطاء لهذا سارت الجماعات تتخبط في ليل مدلم من الرغبات المكبوتة والآمال المقموعة والشعور بالحاجة الى التغير ، ومسايرة خطى العقل الفردي ، فاذا همت بالمسير عاقها الفقر وسدَّ طريقها الظلم ، وقامت ميول أهل السلطة ترد الجماعات عن التطور حذر أن يبدل التطور نظام الجماعات ، فتزيج من طريقها تلك السدود التي تستند اليها سلطة ذوي السلطة من السياسيين والانهازيين والدكتاتوريين ومن لفّ لفهم من أصحاب المصالح المادية التي لا يتحقق لها وجود ، الا وعلى عين الجماعة قناع من الاوهام والخيالات ، وفي قدمها أغلال من الزيف والفوضى .

لا سلطان لأهل السلطة على العقل الفردي . فالعقل الفردي طليق . يفكر كيف يشاء

ويسمح في مفاوز الكون ، ويتبوأ من رحاب الوجود أي متبواً أراد . انطلق العقل الفردي منذ أقدم الأزمان ، محلقاً في ظلال الغابات وفي رؤوس الجبال وفي الصحاري والوهاد والبساتين الملس والمفاوز الخشنة ، وفي الدير والمسجد ، وفي المدرسة والجامعة . وتابعه العلم والفلسفة والفن . فطار الانسان بعقله وما فتىق له عنه من فنون المعرفة وضروب الصناعة ، في آفاق بعيدة قصية ، وتطلع من ورائه بعين الفرد الحر الطليق ، فإذا به يرى الجماعات ما تزال واقفة في أول الطريق وقد تراكت أمامها الصعاب والمشكلات ، ووقفت أوهام العقلية الضمامية تذودها عن السير في طريق الارتقاء ، كما وقف في طريقه الظلم والشهوات والبغض والانانية وردائل الخلق والمطامع الأشعبية ، يؤيدها في ذلك ما سببت من فقر وجوع وجهل وحروب وثورات .

وفي الحق ان الجماعات عاجزة عن التفكير لذاتها . فالجماعة تفكر بعقل الفرد . وعقل الفرد يحاول دائماً ان يجذب الجماعة الى أعلا ، وينهض بها الى السماوات التي ارتفع اليها . ولكن العقلية الضمامية تسد عليه الطريق وتفسد عليه جهده ، كلما عمل على رفع مستوى الانسانية . فالواجب الأول على العقل الفردي أن يعمل على قتل أوهام العقلية الضمامية أول شيء ، هذا إذا أراد أن يكون لجهده أثر مرموق في نظام الجماعات .

وإذا كان للعقلية الضمامية أوهام عاقت الجماعات عن الاقبعات في سبيل التطور ، فإن هذه الاوهام قد أدت بدورها الى خطايا خلقية ، عمل السياسيون ومن اليهم على تغذيتها وتنميتها لتظل غُلاً في عنق الجماعات يعوقها عن التحليق في آفاق الحرية الواسعة فمتقارب وجهات النظر بين الأمم وتحترم المصالح والمبادئ القدسية التي لا ينبغي أن يكون للاجتماع الانساني غيرها أساساً ودعامة : مبادئ السلام والحرية والأخاء والمساواة في الحقوق وحق الاختيار في نظام الحكم الذي يوافق مزاج كل أمة من الأمم .

هذه الخطايا العشر التي عاشت الجماعات في أسرها طوال القرون السالفة وكانت غراس الأوهام التي تمكنت من العقلية الضمامية ، منها ما يتعلق بالنظام المدني الذي نعيش في كنفه ، ومنها ما يتعلق بالخلق الاجتماعي ، الذي كان وما يزال طابع الأمم والجماعات .

الخطيئة الاولى : أسلوب التناول

فان وجهة النظر تختلف اختلافاً كبيراً عند الأمم وعند الأفراد . فهناك نظرة جزئية تريك من الشيء جزءه ، وهناك نظرة كلية تريك من الشيء اجزائه مفردة ومجموعة .

ولقد عمل السياسيون وزعماء الأمم جميعاً على أن يوجهوا الشعوب الى الأخذ بوجهة النظر الجزئي في كل ما يتعلق بالسياسة والعلاقات التي ينبغي أن تقوم بين الأمم . ذلك بأنَّ النظرة الكلية في أمور السياسة والاجتماع إذا تمكنت من عقلية الشعوب سادت فكرة السلام حتماً ، وتقاربت الأمم وعرفت المصالح واحترمت الحريات وساد الاخاء وتفردت الإرادات الاجتماعية بالقطع في أمور الدول ، ومال محور السياسة نحو العمل على التقريب بين الشعوب والاعتراف بحقوقها في الحياة الحرة المنتجة . وعلى العكس من ذلك سارت سياسة الانتهازين والوصوليين من قادة الأمم ، جُروا على المجتمع الانساني ما نرى من كوارث الحرب والثورات . هذا بالرغم مما تغنى به السياسيون طوال عصور ، من حديهم على خير الانسانية . ولكن السياسيين بحكم صناعتهم ، كالشعراء ، يقولون ما لا يفعلون ، ويتفوهون بما لا يعتقدون .

الخطيئة الثانية : تأثر الفكر الفردي بنقائصه دون كمالاته

من نقائص الفكر الفردي تأثره الى حدٍّ ما بالظلامية الفكرية ، فيقف إزاء بعض الحقائق المتعلقة بتطور الجماعات جامداً لا يتحرك ، فترقد فيه قوة الابتكار والقدرة على مواجهة الحقائق ، وإن أدرك أنها كائنة . ويرجع السبب في ذلك الى أن فكر الفرد قد يتأثر من طريق العجز عن مواجهة الحقائق والاعتراف بها ، فيخشى مواجهة الجماهير بما يتصل بأسباب كثيرة من مقومات حياتها ومسببات رقيها وركودها ، فيكون عاملاً من عوامل التوقف عن مسيرة خطى التطور الطبيعي . وقد يعود أكثر السبب في ذلك الى ما تحوط به الجماعات تقاليدها ومعتقداتها من صنوف القدامات ، التي لا أصل لها إلا أن القِدَم قد أضفى عليها تلك الصفات .

ولقد أشار الى ذلك الأستاذ فرنسيس كارل في كتابه « الانسان : ذلك المجهول » ، حيث أبان أن العلوم قد تقدمت انسان الطبقة الوسطى وفاقت كل العلوم مداركه ، ولم يبق فيها ثابتاً غير متقدم الا علم الانسان نفسه . فان علم الانسان ظل وراء كل العلوم كالفلك والاحياء والطبيعة والكيمياء . هذا بالرغم من درجات التقدم التي سارت فيها الانسانية . فالانسان ظل وما يظل جائعاً عاجزاً عن ارضاء حاجاته الأولية . وظهر أن العلماء قد عجزوا عن تنظيم حياة الانسان بنفس الدقة التي استطاعوها في تنظيم مجال بحوثهم العلمية . فالانسان مهما تعلّم وارتقى ، تجد فيه ، بالرغم من ذلك ، آثاراً من حياة أسلافه الأول ، حياة الوهم والاساطير والخرافات ، والعجز عن إدراك الحق وإن تبلج ضوءه ومسطعت شمس .

الخطيئة الثالثة : تشابك العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية

تلك وراثته اجتماعية . فان الجماعات قد خرجت من خطوبها الاولى بنظام اشتركت فيه المصالح والعلاقات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، حتى أصبح من المتعذر على أي مصالح أن يمس ناحية منها بأي تغير تقتضيه الظروف المحيطة بالجماعات ، من غير أن تضطره طبيعة هذا النظام أن يمس بقية النواحي . والى هذا يعزى السبب في اخفاق كل الجهود التي رمت إلى السلام ، بل إنه هدد السلام نفسه ، وكاد يحدث في العقلية البشرية زعة إلى اليأس من أن يسود السلام أو يكون للسلام أثر في سياسة الأمم والشعوب ، أو فعل ناجع في اتجاه الدول من حيث علاقاتها بعضها ببعض .

الخطيئة الرابعة : المصلحة الذاتية

تفسيينا المصلحة الذاتية ومركزنا الاقتصادي دائماً ، عاملاً من أهم العوامل المؤثرة في علاقة بعض الطبقات ببعض . فان صاحب العمل وحامل الأسهم والمتاجر في رأس المال ، وهم من الطبقات ذوات العلاقة المباشرة بالانتاج العائد في مجموعه الى أكبر عدد من أفراد الأمة ، يغفلون دائماً عن « العامل الانساني » في حياة الجماعة ، فينظرون دائماً في كل ما يتعلق بالنظام الاجتماعي من زاوية واحدة ، زاوية المصلحة الذاتية . يفسون طوعاً أو كرهاً ، ما سيطرت عليهم قوة الأنانية ، ان المخلوقات التي تعمل في سبيل الانتاج ، انما هي مخلوقات بشرية لهم حاجات وفيهم أرواح تحس ، ولهم مشاعر تتأثر ، ولهم أسر وأولاد يحتاجون إلى التربية والتنشئة والتعليم ، ليصبحوا عوامل ذات أثر مفيد للمجتمع .

ولقد بلغ الجهل ببعض ذوي السلطان في طور مّا من أطوار التاريخ ، حد ان « العامل الانساني » فيهم قد تجرد من كل معنى مثالي . كما بلغ في حالات أخرى حداً فاضحاً من الامتهار المؤيد بالغباء . فان الشعب الفرنسي في ثورته المشهورة ، قد ثار جائعاً يطلب الخبز لا أكثر . فلما علمت الملكة ماري انطوانيت بسبب الثورة ، قالت اعطوهم فطيراً . أما إذا ضعف الشعور بالأنانية ، فلا شك في أن « العامل الانساني » يتسامى وتثبت أصوله ، فيُقضى من طريقه ، على كثير من مفاصد هذا المجتمع .

الخطيئة الخامسة : الشهوات الانسانية

كلنا يعرف قولة الحكيم أفلاطون المشهورة : « الشهوات تطمس الحق » . فاذا أردنا أن نرعى الحق وأن نوزع العدالة على كل الأفراد بالقسط في مجتمع مّا ، انبغي للذين في

يدم القوة أن يتحرروا من كل الشهوات التي تصم آذانهم عن تلك الصرخات الداوية التي تخرجها حناجر المظلومين المأكولة حقوقهم المداسة أقدارهم ، وأن يعملوا دائماً على النظر في قضايا المجتمع نظرة حرّة بعيدة عن التأثير بتلك القوالب الفكرية العميقة التي تثير الشهوات وتغشى على العقل بغشاوة الموروثات والتقاليد .

الخطيئة السادسة : ميوعة العبارات

لل كلمات حدّان . وقد لا نخطئ كثيراً إذا قلنا إن للكلمات حدوداً تحوّر معانيها بطريق الاستعمال . ومن هذا الطريق ورثنا سوء الفهم عن الجيل الماضي . أما وقد عرفنا أننا ورثنا ذلك الميراث الخسيس عن الذين نشئوا تلك الجهالات ، فإن أول واجب على المصلح الاجتماعي أن يطلب التحديد في معنى الكلمات ، بحيث يصبح للعبارات الاجتماعية دقة المصطلحات الرياضية . ولا ريب في أن هذا وحده ، كفيل بأن يبعد عن أفق المجتمع البشري كثيراً من أسباب التناقض ، والازدحام بكثير من المعاني المتضاربة التي تملط الذهن العامة ، وتدفعها في طريق الثورات بغير أهداف معينة .

الخطيئة السابعة : التخليط في تعيين المشكلات الاجتماعية

وهذا سبب من أخطر الأسباب التي تقود إلى الفوضى . ولا شك عندي أن التخليط في تعيين كل مشكل اجتماعي باعتباره وحدة لها قوام ذاتي ، بصرف النظر عن علاقته بغيره من نواحي النظام السياسي ، كان السبب في نشوء تلك النزعات المتطرفة وأخصها العدائية والقسوة وما إليها من نزعات الهدم والتخريب . فإن العقل الانساني بطبعه إذا ضلّ وتاه وتخالطت قواه المفرقة بين المعقولات ، خبلت قوته ، وتسلم زمام النفس البشرية غيره من القوى الدنيا ، فينزع الانسان بطبعه وبحكم ذلك الظرف ، إلى تحطيم كل ولاية من الولايات الاجتماعية ، وأولها ولاية التشريع ، إذ ينسب إليها القوة التي تمذرع بها ولاية التنفيذ وحفظ النظام . ولا شك في أن ترك الذهن العامة نهياً لهذا التخليط ، خطيئة من أعظم الخطايا التي يرتكبها أهل هذا الزمان .

الخطيئة الثامنة : المساومة

أول ما يفد إلى ذهنك من الخواطر إذا ذكرت معنى المساومة في سياسة الإصلاح الاجتماعي ، أن هذا النمط من التفكير ينسبك أول ما ينسبك : « فضائل السلام » .

إذا جدَّت مشكلة من مشا كل السيامة ، أو تكوَّنت نزعة اجتماعية من النزعات التي كثيراً ما يقتضيها التطور الضمائي ، ونزعت السلطات إلى حلها بطريق المساومة ، فاعلم علم الموقن الثابت في يقينه ، ان حاجة السلام قد ضحى بها في سبيل الوصول الى حلول موقوتة تسكن لوعة الداء ، ولكنها لا تسقأ صله . واعلم فوق ذلك ان كل الدماء المهرقة في الحروب ، وكل الخبائث التي لازمت قيام الثورات والانقلابات الاجتماعية ، كان هذا سببها : مساومة تنسيك فضائل السلام . وما ذلك إلا العمل الفائل . عمل لما هو زائل ، ونقض لما هو باقٍ ثابت .

الخطيئة التاسعة : روح التفرقة

أصحاب المصالح في العالم فريقان : دول ذوات مصالح عامة ، وأفراد ذوو مصالح ذاتية . فاذا ظلَّ هؤلاء مستمسكين كلا بمركزه ، فشدت الدول الاحتفاظ بمركزها في التفوق حتى الدرجة التي يصبح فيها ذلك التفوق غير ضروري للاحتفاظ بمقامها ، وسعى الأفراد الى الاستقواء على الطبقات المستغلبة في المجتمع ، وقفنا حيث نحن ، شاعرين بأن بعض الدول لا بد من أن تتسمح في شيء من تفوقها اقتصادياً أو سياسياً أو غير ذلك ، وان بعض الأفراد لا بد لهم من أن يذعنوا الى ضرورة التنازل عن شيء من امتيازاتهم . واذاً فلا بد من توضيح ، ليتزن بناء المجتمع .

الخطيئة العاشرة : اختلال القوالب الاقتصادية والسياسية

والسبب في هذا الاختلال عجز الأفراد والجماعات عن النظر في الحياة الجديدة نظرة دولية ، تختلف كل الاختلاف عن النظرة القديمة التي تغشاهم اليوم . لقد انقلبت الحال فتطوّرت الحياة وتغيرت قِيَمُهَا . فكل القِيَمِ القومية القديمة قد حلت محلها قِيَمُ دولية شعبية جديدة . ولقد تم هذا التطور لاشعورياً ، حتى أن الناس اليوم يعيشون في نظام دولي ، ولكنهم يفكرون بذهن قومي . وإذن ينبغي لنا أن نعمل على أن نقضي على ناحية التفكير القومي ليسار الفكر ، الذي هو العامل الأول في تنشئة النظم الاجتماعية ، مقتضى الحال في الحياة الدولية التي نحياها .

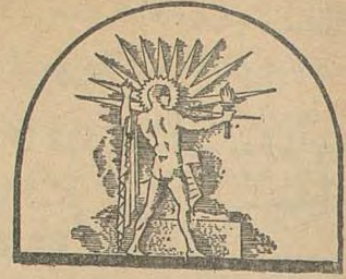
هذه خطيئات عشر ، يلزمنا أن نقضي عليها بالقضاء على بواعثها . فاذا قضينا عليها فنحن الى السلام ، وإذا عجزنا عن ذلك ، فنحن الى الفوضى ، بل الى الحضيض ، الى الدماء والعرق والدموع .

الاتحاد القومي

داؤه ودواؤه^(١)

لادوار مرفص

عضو المجمع العلمي العربي



أصبحت بلاد سورية ولبنان في فجر عهد جديد هو عهد الاستقلال والتمتع بالكرامة القومية في أوسع مداها. وما عهد الدول لنا بهذا الشأن كافياً وافياً، وإن كان عظيم الفائدة. بل يجب علينا أن نضيف إلى هذا المستند الرسمي مساعي فعالة طيبة من قبلنا، تظهر أننا نفكر في واجباتنا ومسؤولياتنا تجاه هذا الاستقلال، قبل أن نفكر في مغائنا وأمانينا الذهبية من ورائه، بحيث نكون مستحقين له ولحسن عناية الدول ورعايتها حين تضع تفاصيل الميثاق الاطنطي، وفي مقدمة أغراضه تأييد الشعوب الصغيرة ومنح كل منها حقوقها السياسية.

فما الشرط الاساسي الذي يطلب منا لنيل ذلك. هو ولا شك اتحادنا كتلة قوية صادقة في نياتها ومسابيحها ومقاصدها. وما الذي يحول دون اعتمادنا على هذه الصفة الشريفة. هو ولا شك وجود النعرات الدينية في صميم مجتمعتنا، وترصد انصاري والمساكين بعضهم لبعض، بتأييد هذه النعرات الخبيثة.

ومن ثم يكون زوال النعرات الدينية من بيننا أعظم ضامن لنجاحنا سياسياً وإدارياً واجتماعياً، وأصدق كفيل لسلامة استقلالنا وراحة بالنا وكرامة نفوسنا وصورنا نفائسنا.

وإذا لم تزل من بيننا هذه النعرات الخبيثة فلا تكون الوحدة العربية إذا حزناها، ونحن اليوم نعوّل عليها ونسعى إليها ونفتخر بها، إلا ضئيلة الجدوى إذ لم أقل معدومة الجدوى، وما أشبهها بصرح جميل نخم ولكنك ذو أساس ضعيف تغبر عليه من هذه الزاوية ومن تلك، مسارب مياه قوية التيار، تحتفر الأخاديد في طريقها وتهدد الصّرح بالتصدع فالانهيار بين ساعة وساعة، والعياذ بالله.

(١) محاضرة أقيمت في ردهة المدرسة التجريبية الرسمية بالاذنية في ٣ نوفمبر سنة ١٩٤٤

ولا تنسوا أن أول واجب يطالب به الكاتب أو الخطيب أن يكون مدفوعاً بعامل الاخلاص والحمية قصد الافادة والارشاد، لا قصد الاغراب والمباهاة، بحيث يرضي ضميره أول شيء. ورحم الله من قال: أخوك من صدقك، لا من صدقك.

النعرات الدينية تحقرنا أمام الناس وأمام أنفسنا كلما فكرنا في قبح مدلولها. النعرات الدينية تجعلنا مطمئناً لكل طامع وحجة دافعة علينا لكل محتج وتكذبنا جهاراً في كل صيحة من صيحاتنا الوطنية وكل دعوى من دعواتنا القومية. وهذه النعرات لم يقتصر أثرها على الشعب في خصوصياته وفي دخائل كل فرد من أفرادها، بل تعدت ذلك إلى ما يخزي ويخذل. فأصبح لها أثر رسمي قانوني في انتخاباتنا ووظائفنا ودعواتنا واقتراحاتنا ومشروعاتنا. ونخشى أن يستشري فسادها بعد قليل فتدخل في مطامعنا ومشاربنا وفي أبسط وأحقر مظهر من مظاهر معيشتنا. ولم يكن أمرنا ليصل إلى هذا. نعم أن أبناء جيلنا الحاضر عرفوا من حقائق الكون العمرانية ما لم يعرفه آباؤهم وأجدادهم، وأصبح فيهم استعداد فطري للاخاء الوطني والرابطة القومية وتقديرها على كل رابطة سواها. ولكن تيسار الأحوال الطارئة جرفهم على سهو منهم أو على تجاهل وتغافل، فوقعوا في سوء ما ورنوا بتطبيق نظامنا الرسمية على فوارق الدين بيننا. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وقد تناولت هذا المطلب الوطني الجوهرى مراراً قبل اليوم في جرائد ومجلات مختلفة منها ما قلته منذ سبع سنوات بعنوان: « لا يجمع سيفان في غمد. إما الطائفية وإما الوطنية ». ثم أقول: « أما نحن سكان هذه الديار فأمرنا عجب. ظاهره يضحك الثاكلات وباطنه يشكل الضاحكات. أمرنا عجب. وكل عدتنا فيه صخب وجلب. نحب الوطنية. ونشتهي الوطنية. ونحس بحاجتنا القصوى إلى الوطنية. وتنغى بالوطنية. وتنادي ألسنتنا وأقلامنا بالوطنية في كل صباح وكل مساء. ومع ذلك لا نتحول قيد شعرة عن النعرة الطائفية. ولا نتنازل عن حبة مما اصطالحنا أن نسميه حقوقاً طائفية أو تقاليد طائفية، ولا نعرف أن نعيش إلا بالطائفية. متشقين ريجها. سكارى براحها. ملهمين روحها. وكثيراً ما نسخر الوطنية لأجل الطائفية بحيث لا نعطي الوطنية إلا القشر ونُدخِر اللب كله للطائفية. بحيث يقول اللسان وطنية. ويضمر القلب طائفية. ومن ثمَّ زداد بعداً عن تحقيق الآمال بجمع الكلمة ورسّ الصفوف ينصر بعضها بعضاً. وهي حالة تعاسة وألم كأنها المعنية بقول القائل.

وكنت إذا أرسلت طرْفك رائداً لقلبك يوماً أتعبتك المناظر

رأيت الذي لا كله أنت قادرٌ عليه ، ولا عن بعضه أنت صابر

كانت المملكة الإسلامية في عصورها الأولى خلافة دينية بحتة . وكان معظم النصارى النضوين تحت لوأئها أجانب عنها غرباء بلسانهم وأخلاقهم وميولهم وسياساتهم المنحدرة اليهم مما أنفوه وعهدوه وأشربته قلوبهم من دول نصرانية سابقة ما بين يونان ورومان وسريان وأقباط وغيرها ، وهي الدول التي غلبها المسلمون على أمرها وملكوا ديارها . ومن ثم كان المسلمون معذورين عذراً واضحاً في كيفية نظرهم إلى النصارى الساكنين معهم وفي اتخاذهم الخطة بشأنهم ، وبما أن هؤلاء النصارى دخلوا في الدولة الإسلامية وهم أهل كتاب سماوي ، رعى المسلمون حرمتهم إلى حدٍّ محدود فسموهم ذميين أو معاهدين وأخذوا على أنفسهم حمايتهم والدود عن حقوقهم بشروط وقيود مفصلة في مواضعها ، خوفاً من فتنة أو نورة أو مكيدة تقع عليهم من قبل هؤلاء النصارى .

أما اليوم فقد زالت هذه الأحوال وهذه الدماوي ، ولم يبق مسوغ لهذه التفرقة بجعل الرمايا قسمين مؤمنين أقارب ، وذميين أجانب . لم يبق مسوغ لهذا لأن اللغة والشارب والأخلاق أصبحت كلها موحدة ضمن إطار عربي . إن قرناً واحداً في المعاشرة والامتزاج يحسب كافياً لمثل هذا التوحيد ، فكيف وقد انقضى على تلك الحال ثلاثة عشر قرناً ونيفاً ونمي النصارى ما كان يربط أجداد أجداد فئات منهم باليونان والرومان وغيرهم رباط جنسية ونسب . لقد استعربوا جميعهم من قمة رأسهم إلى اخمص قدمهم ، ولم يضرهم شيئاً في استعرابهم ، أصلهم الأعجمي القديم . ثم إذا كانت العجمة قد دخلت في أنساب بعضهم منوغة في قدمها ، فإن بعضهم الآخر يمت إلى نسب عربي صميم من أيام الجاهلية ، وأريد أنهم من سلالة القبائل العربية المنتصرة ، وأشهرها في القسم العدناني تغلب وبكر وكنب والأزد . وفي القسم القحطاني طي وكنده وغسان وظم وقضاعة وإياد . أو ليس كذلك شأن اخواننا مسامي العرب ؟ فهم في أنسابهم من قبائل عربية ومن شعوب أعجمية كالفرس والترك والأكراد والمركس وغيرهم . بل إن أجداد جماعات منهم ، هم أجداد النصارى أنفسهم . وإنما دخلوا في الاسلام تدريجاً بعوامل مختلفة أهمها حافزان جوهران لاثالث لهما : وما الرغبة والرهبة . على أن اختلاط العناصر والانساب شيء لا بد منه بفعل كرور الاحقاب والاشتراك في النوطن والمعيشة حتى أصبح من المتعذر أن نجد أمة ترجع أصولها الى جنس واحد . وقد يتسنى هذا التحصيل للقبائل الرحل كالبدو من العرب ومن التتار والخزر وهنود أميركا وزفوج أفريقية وقبائل الاسكيمو بجوار القطب الشمالي . وأما الأمم المتحضرة وهي

تسعة أعشار البشر أو تزيد ، فلا يتسنى لها هذا التخصيص . فالامة الفرنسية مثلاً يدخل في نسبها القديم العرق الجرمانى . ويدخل في الامة الروسية العنصر المغولى . وفي الامتين الاسبانية والبورغالية الدم العربى . وفي الامة الايطالية الاصل اليونانى إلى آخر ما هنالك .

واذا حاول جماعة من أهل التعنت والعناد أو من المولعين بالمكابرة والمهاكة أن يتعاموا عن صحة هذه النظرية العمرانية الجلية ، وأصروا على حرمانى نصارى العرب حق انسابهم إلى العروبة أجبنائهم : رويدكم : إذا كنتم ترون النسب اليونانى أو السريانى أو الفينيقي أو غيرها من أنساب الأعاجم أولى بأبناء وطنكم النصارى من النسب العربى ، لأن أجدادهم من ألف سنة كانوا ينتمون إلى هذه العناصر ، فانكم بهذا المقياس الجائر تخرجون بني قريش أنفسهم ، وهم سادات العرب ، عن عروبتهم وتحكمون بانهم كلدان لأنهم ينتمون إلى اسماعيل ابن ابراهيم الخليل بن ناحور بن تارح وهو كلداني قح من بلاد ما بين النهرين ، من مدينة الرها التي نسميها اليوم أورفا . فما قولكم في هذه المهزلة بحمل قريش كلداناً ، بل بحمل جميع القبائل العدنانية لا قريش وحدها ، خارجة عن العروبة ، مع أنها تؤلف في التاريخ نصف الامة العربية .

وفي هذا القدر كفاية لاثبات عروبة الوطنيين من نصارى بلادنا في عصرنا الحاضر أسوة بأبناء وطنهم المسلمين . فلا يجوز أن ينظر اليهم كما كان ينظر إلى أسلافهم من نصارى الشرق الأوائل في فجر الاسلام . كان نصارى تلك العصور أعاجم بلسانهم وعاداتهم واخلقهم وتقاليدهم ومقاصدهم . وأما نصارى اليوم فهم عرب في جميع ما ذكر . كان النصارى القدماء يؤدون الجزية لبيت المال ، والجزية هي أكبر دليل وبرهان على أن لهم حالة استثنائية في نظر الدولة ، لا تعادل حال المسلمين . وأما نصارى اليوم فقد أعفتهم الدولة من أداء الجزية ، وإن شئت فقل أعفتهم من تلك الصبغة . . . كان أولئك النصارى لا يطالبون بالخدمة العسكرية إذ لا يؤمن جانبهم ولا يقبل اشتراكهم فيها إذا أرادوا التطوع لها . وأما نصارى اليوم فهم شركاء أبناء وطنهم المسلمين في هذه الخدمة على اختلاف أنواعها من جيش عامل وجيش احتياطي ودرك وشرطة وحرس . ويضاف إلى هذه الزايا أن نصارى نهضتنا الحاضرة قاموا بقسط كبير شريف في خدمة العرب والعربية داخل ديارهم ، وحملوا قبسها الوهاج ، ونشروا لواءها الظليل خارج ديارهم في عدة أقطار شرقية وغربية ، تشهد لهم بذلك شهادة لا ترد ولا تدحض ، جمعياتهم وأنديةهم وصحفهم ومؤلفاتهم وخطبهم .

(البقية في العدد المقبل)

ارتياح جزيرة العرب

خلاصة لكتاب يحتج به *
✓

لمحمد عبد الغني حسن



في أوائل القرن السابع عشر الميلادي أو في سنة ١٦٠٩ بالتحديد، كتب موظف في شركة الهند الشرقية يقول في تقرير له: « يجب أن يتوقع المسافر إلى عدن أخطاراً تنتظره وأهوالاً ترتقبه، لأنها مدينة مشحونة بالأحراس والجنود، وليس فيها من التجار إلا قليل. والربح القليل الذي يؤمل من التجارة فيها، لا يوازي الأخطار التي يستهدف لها التاجر. أما مدينة مُحَسَّا اليمنية فهي على صغر حجمها، مركز تجاري أمين لأنها مملوكة بالتجار لا بالجنود».

وكانت عدن قبل ذلك الحين ببضع عشرات من السنين من أملاك الدولة العثمانية. ولكن قيمتها التجارية مع بلاد الهند والجزيرة العربية وأوربا أخذت تتضاءل، حتى انتهى الأمر إلى مدينة محسا التي أخذت تحتل مكانها وتزعم عنها قديم شهرتها. وكان يحكم عدن من قبل العثمانيين رجل يوناني غير مسلم، اتخذ حاكم صنعاء صنيعاً له وعهد إليه حكم هذه المدينة العسكرية.

وفي سنة ١٦٠٩ أيضاً أرسلت شركة الهند الشرقية بعثة إلى عدن، على رأسها «اسكندر شاربني» ومعه رجل من الذين يحبون الضرب في الأرض للتجارة وعقد الصفقات والترويج للسلع حتى تنفق. هذا الرجل اسمه «جون جوردان» من مقاطعة دورست بإنجلترا. لقي هذان الرجلان الطامعان في ثروة البلاد العربية عنفاً وارهافاً، وخاصة في عدن تلك المدينة التي ليس فيها جرعة من الماء سائغة لظمان. وليس فيها إلا الصخور الرطب والحجارة الدكن.

ولكنهما لم يعرفا وهناً، ولم يردا لليأس سبيلاً إلى قلوبهما. فقد تعرفا إلى عدن

L'Exploration de L'Arabie — Par : R. H. Kiernan, Paris 1938 (*)

وصنعاء ونحاً . بل تعرفنا الى كثير من بلاد اليمن . ولم يجد « شاربى » سوقاً للسلع الكثيرة التي جلبها معه من الهند ، وإذا وجد السوق فانه لا يصادف الا الثمن البخس والدرهم المعدودة . فعاد الى الهند تاركاً زميله المغامر الجريء « جوردان » يسير في مناكب اليمن ... وبعثت شركة الهند الشرقية « السير هنري ميدلتون » ليتيم ما يحجز عن اتمامه سلفه « شاربى » . فجاء الرجل ووجد في « جوردان » يده وعدته . وكان في « جوردان » صلابة وعناد لا يخضعان لقساوة الظروف وخرج المواقف .

وهنا كانت المنافسة بين الانجليز والهولنديين أخذت سبيلها . وخاصة بعد القضاء على نفوذ البرتغال ، وانقلبت المنافسة التجارية الى عداوة مبيتة . ولم يكن غير أطراف الاسنة مركب بين المتنافسين . ولم يكن للمضطرين الا ركوبها .

وجاء أسطول هولندي صغير يقوده « هدرىك جازون » . وكان في استطاعة أسطول « جوردان » الضئيل ان يتقي اللقاء بالهرب . ولكنه أثر الموت الذي ليس منه بد ، ووجد حاراً لنفسه ولبلاده أن يموت جباناً ...

وانتهت المعركة بقتل « جوردان » ، وهو يحمل علم بلاده في يده — بعد ما أصدر أمراً بالتسليم حتى لا يكون مصير بعثته الفناء .

هذه المعركة البحرية الصغيرة ، هي وأخوات لها في خلال القرن السابع عشر ، والنصف الأول من القرن الثامن عشر ، لم تكن ارتياذاً للجزيرة العربية بالمعنى العلمي الصحيح ، وإنما كانت منافسات تجارية . ولكنها على كل حال كانت الخطوات الأولى في الارتياذ لتلك الجزيرة السحيقة الأطراف .

وأول كشف للجزيرة العربية بالمعنى العلمي الحديث ابتدأه الدانمركيون . وهم قوم على قلة عددهم حملوا لواء الارتياذ . وما ضرهم أنهم قليل عددهم ، فالكرام في الدنيا قليل ... وأول طارق لبلاد العرب على نية الكشف العلمي هو « كارستون نيبوهر » الدانمركي ، الذي أرسلته حكومة بلاده على رأس بعثة أمدت بأسباب البحث والاطلاع الممكنة في عصره . قامت البعثة سنة ١٧٦١ م . وقضت سنة في مصر وشبه جزيرة سيناء . ثم بلغت جدة سنة ١٧٦٢ م ومنها أبحرت الى ميناء في بلاد اليمن يدعى « اللحيه » بالحاء والياء المشددة المفتوحة وهاء في آخره (١) . وكان هذا الثغر اليمني هو الهدف الذي ترمي اليه البعثة .

(١) حقق هذا الاسم العالم الجليل الاب انستاس مازي الكرمل في كتاب « بلوغ المرام في شرح مختصر الحتام » للقاضي العرشي الذي نشره الاب « ص ٢٧٠ س ١٦ » . وخطأ من يقول ان اسمه لها

ومن هناك أبحر رجالها الى « مخا » الحافلة بالتجار وأكبر ميناء لتجارة البن . ولما كان « نيبوهر » غير عالم بالحضارات القديمة ولا متخصص في دراستها فقد اصطحب معه علماء من أعلام هذا العلم اسمه (فون هافن) . وظلت البعثة بين إتهام وإنجاد حتى بلغت صنعاء التي جابها « نيبوهر » شبراً شبراً ، ووصف كل معلم من معالمها وحي من أحيائها . ولقد كان وصفه للحي اليهودي فيها شائقاً .

وبعد أن أقامت البعثة عشرة أيام في صنعاء ، عادت إلى مخا عن طريق الحديدة ومن مخا أفلعت البعثة إلى الهند . وفي العام التالي بقي « نيبوهر » وحيداً بعد وفاة ثلاثة من زملائه فزار عُمان ومواطن أخرى على الخليج الفارسي . ثم ذهب إلى البصرة فسورية ففلسطين ومنها إلى وطنه بعد غياب أربع سنوات . وطبع نتائج رحلته سنة ١٧٧٢ . وبعد عمله هذا أول وصف لبلاد العرب وخاصة اليمن . وكان وصفه للأماكن المختلفة وصفاً مملوئاً بالدقة ، حتى انه لم يترك لمن جاء بعده من الرواد مجالاً للوصف الدقيق .

وكان « نيبوهر » منصفاً في حكمه على العرب عارفاً أقدارهم ، فلم تمل به دواعي الهوى في حكمه ، وقد عرفهم عن قرب ، وفرّهم عن تجربة . وقال فيهم في كتابه ^(١) . « إذا كان هناك شعب يقدمه التاريخ مثلاً فريداً للأمانة المصحوبة ببساطة التقاليد ، فانه الشعب العربي بكل تأكيد »

وبعد مضي أكثر من قرن على بعثة « نيبوهر » ذهب « هالفي » إلى بلاد اليمن سنة ١٨٦٩ فاكشف مدينة مأرب والكتابة المنقوشة على صخورها . ودخل إقليم نجران الخصب ، حيث لقي جالية من اليهود في قرية « مخلاف » فأقام بينهم بضعة أسابيع . وفي سنة ١٨٧٠ وصل إلى مدينة « النحاس » التي سميت بهذا الاسم لأن آثارها المنقوشة وجدت على ألواح من هذا المعدن . وعلى بعد ساعتين من شرقي مأرب على سد مأرب المشهور في التاريخ . ولم ينفرد « هالفي » بكشف مأرب ، ولكنه فتح سبيلاً ممهداً للعالم الأثري النموسي « جلازر » الذي قام — تحت حماية الأتراك — بزيارة مأرب سنة ١٨٨٩ . ولولا خصومة بين قبيلتي « حاشد » و « بقبيل » لأمعن في سيره . ولكنه خشي على نفسه أن يقع ضحية في خلال هذا الخصام . وانتظر الرجل حتى يجد في مصالحة الحيين المحترين فرصة لاستئناف عمله . وكان ذلك في رحلة ثانية وصل فيها إلى مأرب ، وأقام فيها ثلاثين يوماً جمع خلالها

طائفة كبيرة من النقوش والآثار ، ولكنه لم يستطع أن يخترق شرقي مأرب ، فقد كانت دوية مخيفة غير واضحة الأقراب .

وفي سنة ١٨٣٥ استطاع « ويلستد » الذهاب إلى قلب حضرموت ، وما كان ذلك سهلاً ولا ميسوراً ، ولكنه كان زماع الأمر والهم السكع كما فعل سويد بن كاهل صاحب القصيدة العينية المشهورة !! . وكاد « ويلستد » ينجح في مغامرته لولا أن بعض الخصومات الذهبية في اليمن ، لم تمكن البعثة من انجاز عملها .

ولما كان الحجاز أشهر أقاليم الجزيرة العربية — لما للمدينتين المقدستين من مقام عظيم — فقد قام « فارنيا » الايطالي من دمشق في أوائل القرن السادس عشر . ولعله أول أوروبي زار أرض الحجاز . كما كان « يوسف بتس » الديفوني الانجليزي من أوائل الزائرين للحجاز . وهناك آخرون زاروا مكة متخفين أو متظاهرين بالإسلام . وظل الحال كذلك إلى أول القرن التاسع عشر . فزير الحجاز — لأول مرة — لغاية علمية محدودة بوساطة « باديا لبليك » الاسباني الذي تسمى باسم « علي بك » وادعى أنه من أعقاب العباسيين وأنه بقية من بقاياهم ، فوصل إلى جدة سنة ١٨٠٧ . وأدى فريضة الحج في مكة . وهو أول مرتاد أوروبي اخرج للعالم أول صورة دقيقة للمدينة المكرمة ولشعائر المسلمين في البيت الحرام . كما كان أول من حدد موقع مكة بعد مشاهدات فلسكية متتابعة ، ووصف كل ما يحيط بها من المواقع والبطاح .

ولقد مهد « علي بك » الاسباني طريق إرتياذ الحجاز للرحالة « بركهاردت » الذي ولد في « لوزان » وتعلم في سويسرة وأتم تعليمه في جامعتي لندن وكامبريدج . وكان في الفتى صلابة في الخلق ودأب في الدرس ، حتى لقد احتمل الحرمان الأليم والضنى الممض في سبيل دراسته . حفظ القرآن ودرس التفسير في أوسع كتبه وأعظم مراجعه ، وتعمق في بحث الشريعة الاسلامية تعمقاً مكنه من أن ترسخ قدمه فيها . وهو الرائد الحقيقي لبلاد الحجاز ولقد مكنته قراءاته الواسعة ومعرفته بحياة العرب وعاداتهم من أن يدخل بلاد الحجاز كسلم . فنزل جدة سنة ١٨١٤ حينما تم احتلال الوهابيين للحجاز : وكانت جيوش محمد علي باشا على أهبة التقدم نحو نجد . وزار الطائف وقضى ثلاثة شهور في مكة فحج واعتمر وقضى مناسك الحج . وفي سنة ١٨١٥ سافر إلى المدينة بطريق الساحل . وبالرغم من اعتلال صحته فقد سجل كل ما رأى وجرب بالدقة التي امتازت به — رحلته إلى مكة . وفي النهاية حينما ألحت عليه العلة — اضطر إلى قطع رحلته وعاد إلى القاهرة ، ومات بعد ذلك بعامين .

ومن رواد «الحجاز» «ريتشارد برتون» الذي كتب رحلته في كتاب لم يسبقه اليه سابق من حيث اتساعه وضبطه. وفي سنة ١٨٧٧ أوفده الخديو اسماعيل ليكشف مناجم الذهب في شمالي الحجاز! فوجد هناك آثاراً ذات قيمة تاريخية وحمل معه خرائط ومصورات وبعد عشرين عاماً زار المدينتين المقدستين رجل هولندي اسمه «هيرجرونيه» وكان عميد الرواد في عصره. وطبع كتابه بالألمانية ولكنه لم ينل من الشهرة ما نال سابقوه. ولعل ذلك راجع الى أنه كشف أشياء كانت معروفة لدى جمهور العلماء في زمانه. وكانت انتصارات ابراهيم باشا في الحجاز سبباً من أسباب نفوذ الرحالين إلى أواسط الجزيرة العربية. فقد دخل عدد من الضباط الأجانب في الجيش المصري، ولكنهم لم يتركوا لنا أثراً من مشاهداتهم.

ولكن حكومة الهند كانت راغبة في القضاء على القرصنة في الخليج الفارسي، ومتطلعة إلى الحصول على معلومات صحيحة عن مركز البلاد العربية. فأرسلت الضابط (سادلير) مندوباً عنها لدى ابراهيم باشا الذي كان والياً على البلاد العربية، والذي تقبله بقبول حسن، وكان أول رحالة أوروبي اخترق بلاد العرب من بحر إلى بحر. ولو أن النتائج السياسية لرحلته كانت هباءً، إلا أنها كانت ذات قيمة جغرافية كبيرة. فقد أصبح اختراق بادية نجد شيئاً مستطاعاً حتى في أشد الشهور قيظاً.

وإلى هذه اللحظة ظل إقليم جبل شمر غير مطروق إلى أن جاء «والن» نيابة عن محمد علي باشا ليستطلع عن شمالي نجد نبأ. فاخترق صحراء «النفود» إلى «الحائل» وهي العاصمة المزدهرة لجبل شمر. ولقد أدهشته أخلاق العرب ومروءتهم وعدالة رئيسهم.

وفي سنة ١٨٦٢ زار الجوف والحائل والرياض والأحساء، الرحالة «بلجراف» في صحبة «بركات» وهو قسيس لبناني وصل فيما بعد إلى مرتبة مطران. ولقد مكنت «بلجراف» معرفته الوثيقة باللغة العربية وتاريخ الجزيرة من رسم صورة حية ناطقة للحياة العربية. وهي صورة ملأى بالفننة والروعة، ولكنها من الناحية الجغرافية لا تعد شيئاً، فإن طغيان الخيال والافراق في المبالغة، جعلت رحلته أقرب إلى المتعة منها إلى التحقيق، حتى أن الرحالة «دوتي» بعد خمسة عشر عاماً لم يجد أثراً لمعالم بلجراف!

ولكن «بلجراف» وجد من يدافع عنه بعد موته وهو الدكتور «هوجارت»، وكان آخر رحالي القرن التاسع عشر، البارون «نولده» الذي زار مدينة الحائل سنة ١٨٩٣. وهو أول من مهد السبيل لرواد القرن العشرين.

النباتات المتطفلة



لر ضوانه محمد رضوانه

التطفل وجود فردين يستفيد أحدهما من الآخر مسبباً له بذلك ضرراً يتفاوت في خطورته ، وتكون نتيجة الموت في غالب الأحيان ، ولم يعرف بالتحقيق كيف نشأ التطفل. وأغلب الظن أنه نشأ بمحض المصادفة فقد يتفق أن يبتلع حيوان ما إحدى الكائنات الحية ، نباتية كانت أم حيوانية ، أو أن تدخل هذه في نسيج أي نبات ، فإذا وجدت أن هذه البيئة الجديدة تحوي كل الظروف الملائمة لنموها وتكاثرها من غذاء وحرارة وغيرها ، وأنها لا تختلف كثيراً عن موارد غذائها الطبيعية ، فضلاً عن كونها لا تعاني مجهوداً يذكر في الحصول على ما يقوم بأودها ، استمرت هذه الحياة وجعلتها ديدناً لها ، وبذا تصير خاصية التطفل عادةً لهذا الكائن الحي . ومما يؤيد هذا ، أن عدداً كبيراً من الطفيليات يمكنها أن تصيب عوائل مختلفة من أجناس متباينة مثل فطر *Corticium vagum* فله القدرة على إصابة نباتات عدة مثل القطن والبطاطس والبنجر والفاصوليا . . الخ . وعلى ذلك فالطفيليات ، ولو أنها منتشرة انتشاراً عظيماً في مملكتي الحيوان والنبات ، إلا أنها لا تكون قسماً طبيعياً خاصاً ، مما يدل على أن هذه الحالات إنما نشأت مستقلة عن بعضها ، وإذا كانت هناك بعض أنواع من الديدان الشريطية تقتصر على التطفل ، فإنه قد ثبت أن لها أسلافاً عاشت حرة أي غير متطفلة . ويمكن تقسيم النباتات المتطفلة قسمين :

١ — النباتات اللازهرية أو (الخفية الزهر) Cryptogamies

٢ — النباتات الزهرية أو (البادية الزهر) Phanerogamies

ومن أم الطفيليات في النباتات اللازهرية الفطر والبكتريا (القسيمات) . فالفطر *Fungi* نبات لا يحتوي على اليخضور (الكلوروفيل) أي أنه لا يستفيد من غاز ثاني أكسيد الكربون الجوي ليكون مركباته الكربونية ، ولهذا يتطفل على الكائنات الحية ويمتنع منها غذاءه ، فنجد أن هيفات الفطر تخترق طريقها إلى العائل ميكانيكياً ، بأن تضغط

على أديم النباتات — وهي ثابتة في مكانها — وتستمر في الضغط بشدة حتى ينفجر الأديم وبذلك يفتح الطريق لدخول الفطر ، وعندئذ ينمو داخل النبات مخترقاً الأنسجة نفسها أو نامياً في المسافات البينية ويفرز أنزيم (خميرة) البكتيناز Pectinase التي تفكك الخلايا وتؤثر على الجبلة أو المادة الحية (البروتوبلازم) وبذا تتحلل الأنوية وتنفخ النشائيات الخضر (الكوروبلاستيدات)^(١) ثم تتحلل وتختفي جزيئات النشاء، فيستطيع الفطر أن يمتص غذاءه . وقد شوهد أن خميرة البكتيناز تنتشر متقدمة الهيفات فتقتل الخلايا وتحلل الجذور قبل وصول الهيفات إليها ، ويسبب هذا التأثير عنف الأنسجة ، وينتهي بموت النبات كله .

ويختلف تأثير الفطر على النبات باختلاف أنواعه ، فنه ما ينحصر تأثيره على الخلية التي يسكن فيها فقط كالفطر المسمى Myxomycetes ، وهو يصيب نباتات الجنس المسمى براسيكا التي منها السكرن مثلاً ، فيسكن هذا الفطر في داخل خلايا العائل ويمتص محتوياتها وينكأ فيها فيميتها . وقد يؤثر الفطر على الأوراق فتكبد وتموت مثل مرض البياض الزغي في العنب وهو المسمى Plasmopara viticola ، وبعض الفطريات تفرز سموماً (توكسينات) toxins تفسد جبلة السائل ، مثل الفطر المسبب لمرض ذبول القطن المسمى

Fusarium vasinfectum

ولا يقتصر تطفل الفطر على النبات ، بل يتعداه إلى الحيوان ، فأغلب الأمراض الجلدية التي تصيب الحيوانات يسببها الفطر . فرض القرع الذي يصيب جميع الحيوانات الصغيرة وينقل إلى الإنسان ، تسببه ثلاث أنواع من الفطر : الأول ويسمى Trichophyton ويصيب الماشية ، والثاني يسمى Microspora ويصيب الخيل ، والثالث Achorion وهو يصيب الإنسان . وهناك نوع من الفطر يسمى Empusa musca يصيب الذباب في ابتداء الخريف ويكون على أشده في نوفمبر ، فتصبح الحشرات ضعيفة لا تقوى على السير ويكثر عددها الذي يلتصق بالجذر والألواح فلا تقوى على تركها ، والتأثير الذي يحدثه هذا الفطر في الحشرة هو اتلاف العضلات ، فلا تقوى على الطيران . ومرض Muscardine الذي يصيب يرقات دودة الحرير سببه فطر من جنس Batrytes يسبب تصلب الجسم بسبب الإفرازات الكاسية التي يفرزها على جسم الحشرة .

أما الطفيليات المماثلة بالقصصيات (البكتريا) Bacteria فعبارة عن خلية واحدة تحتوي

(١) Chloroplastids : chloro Gr. = green & plastids = form units.

E. Haeckel (Eng. Ed.) I, 347.

على المادة اللازمة للحياة أي الجيلة (البروتوبلازم) وتحاط بمجدار غشائي رقيق مكون من مواد أزووتية . ولما كانت البكتريا فاقدة اليخضور (الكلوروفيل) فانها تحتاج إلى التغذي من أجسام الحيوان والنبات ، وهي منتشرة بكثرة في الهواء والماء ، وعالقة بالأسطح المعرضة للهواء الجوي ، وعلى ذلك فالكائنات جميعاً معرضة لهجمات هذه الميكروبات وكثير منها يسبب أضراراً وخيمة للإنسان ، فهي تصيبه إما عن طريق الجلد أو القناة الهضمية أو الجهاز التنفسي ، فإذا وصلت إلى الجلد عن طريق جرح أو ثلم به ، فانها تتكاثر فيه بسرعة مسببة التهابات موضعية قد تتحول إلى خراجات تتلف الأنسجة ، وقد تفرز مواد مامة تقضي إلى تسمم الجسم . والقضيات (البكتريا) التي تصيب الجهاز الهضمي كثيرة : أهمها وأخطرها بكتريا التيفود والـكوليرا والدوسنتاريا ، وأخطر أنواع البكتريا هي التي تصيب الإنسان عن طريق الجهاز التنفسي فتسبب له أمراضاً خطيرة مثل مرض السل الرئوي والالتهاب الرئوي الذي يحدث التهاباً في أنسجة الرئة والفصل ، وتنتقل هذه القضيات بواسطة قطرات الماء التي تخرج من فم المصاب أو أنفه عند السعال أو الكلام .

النباتات الزهرية الطفيلية : Parasitic Phanerogams

الأصل في غذاء النبات أن يستمد الكربون اللازم له إما من غاز ثاني أكسيد الكربون الجوي فيدخل أنسجة الورقة أو السوق الخضر ، وإما من الهواء المحيط بالنبات ، ثم يمتص النبات الماء من الأرض بواسطة الجذور . وبواسطة اليخضور (الكلوروفيل) يحدث تفاعل كيميائي من ثاني أكسيد الكربون والماء ، فتنشأ عنه كربوهيدرات . والنباتات الخالية من اليخضور تماماً ، والتي تعتمد على عائلها في الحصول على الماء والأملاح والمواد الغذائية العضوية اللازمة لها ، تسمى بالنباتات تامة التطفل . وأما التي تستمد من عائلها الماء والأملاح فقط ، ويمكنها تجهيز المواد العضوية بواسطة أوراقها لاحتوائها على اليخضور ، فتسمى النباتات ناقصة التطفل .

ومن النباتات التامة التطفل الهالوك ، وهو يتطفل على جذور نباتات مختلفة في مصر ، كالقول والطماطم والكرنب ، ولا بد أن نجاح التطفل في هذا النبات من أن تنبت بزوره بجوار جذور العائل ، فهما توفرت كل الشروط الملائمة للنبات من حرارة وماء وغيرها ولم توجد جذور العائل ، لا تنبت البزور ، وحين إنباتها تنمو منه بمصحات تنبته نحو العائل وتحترق

أنسجة الجذر وتتصل بأنايب الخشب لتمص الماء والأملاح ، وبعضها يتصل بالماء للحصول على المواد العضوية المجزة ، ثم ينمو الطفيل ويكون تحت الأرض جسماً درنياً تتصل بحيزمه الوعائية بحزم العائل ، ويأخذ هذا الجسم الدرني في النمو ، ثم ينبثق منه شئراخ زهري يظهر فوق سطح الأرض ويحمل أوراقاً حرشفية خالية من اليخضور . وبزور الهالوك يمكنها أن تعيش في الأرض عشر سنوات في حالة همود إذا لم تجد عائلاً الخاص ، دون أن تتلف أو تفقد حيويتها .

والحامول نبات زهري تام التطفل يكثر في مصر على البرسيم والكتان ، ومن المعتاد أن توجد بزور الحامول مع بزور العائل ، فإذا زرعت نبتت بزور العائل أولاً ثم تعقبها بزور الحامول فيخرج منها ساق رقيقة خيطية تثبت نفسها في الأرض بواسطة شعيرات تنمو من القاعدة ، وتنمو الساق إلى حد يكفيها للاندفاع حول العائل ، ثم تتحرك قمتها حركة دائرية ، حتى إذا ما لامست ساق العائل التفت حوله وماتت الشعيرات التي كانت تثبته في الأرض ، وبذلك يفقد الحامول علاقته بالتربة ويصبح كل اعتماده على العائل . ثم تنمو من الساق الخيطية أفراس تلتصق بساق العائل ، وتخرج من هذه الأفراس بمصبات تخترق أنسجة العائل إلى أن تصل إلى الحيزم الوعائية ، وكذلك تنفرع من المصبات خلايا جانبية رقيقة الجدر ، تتصل بخلايا القشرة والأنسجة النخاعية لامتصاص المادة المخزونة فيها .

وأما النباتات ناقصة التطفل فأهمها نبات النيسيوم *Nissium* وهو نبات عشبي صغير له أوراق خضراء ، ويتطفل على جذور النجيليات وهو يكثر في مريوط ونبات اللورنتس *Loranthus* وينمو بكثرة على أشجار السنط ويشاهد في الجنوب الشرقي من مصر ، وتمتد من ساقه بمصبات تخترق أنسجة العائل فتمتص منه الماء والأملاح . وأما المادة العضوية فإن النبات يجزها بأوراقه الخضراء . وبزوره تنتقل بواسطة الطيور إذ أنها طعام مفضل ومحبوب لديها ، ولما كانت البزرة محاطة بمادة لزجة ، فهي تلتصق بمنقار الطائر فيحاول أن يتخلص منها بأن يمسح بمنقاره عدة مرات على شجرة ما ، وبذا تنتقل البزرة إلى الشجرة وتلتصق بها مكونة نباتاً جديداً .

عدو الكذب

قصة عن الكاتب البولندي

فانسرف سولسكي

نقلها حسين المهدي غنام

سيداتي . سادتي

يجب عليكم جميعاً ان تجعلوا من أنفسكم

مستوى الذكاء عند سكان هذه البلدة ، وهذا لا يتأتى الاً بالاطلاع على رسائلهم ومكاتباتهم ، ولذا فضضت كثيراً منها ... ومن السهل ان يَفُضَّ الانسان مظهره ويقرأ ما فيه ثم يقفله مرة أخرى .. وبهذه الطريقة قرأت الرسائل والخطابات ، فرأيت أشياء لم تسرني ... إن مستوى الذكاء فيها يستحق الاشفاق ، فانه أقل من المتوسط ، ولم تحتو كتب القوم ورسائلهم الاً على سخافات مزرية وتلفيقات ونعائم وأكاذيب . سيداتي ! سادتي ! يجب عليكم جميعاً أن تجعلوا من أنفسكم ... !

وما كاد المتهم يفوه بهذه الكلمات ، وقد وجهها الى المستمعين من أهل البلدة ، حتى تعالت صيحات السخط والحقن وكادوا ينزلون به سوطاً ، غير أنه ظل هادئاً ولم يحرك ساكناً ، رغم ما بدا على الجمهور من آثار الغضب . واستمر في كلامه فقال : ... ولكثرة ما قرأت من رسائل الناس تعلمت تقليد خطوطهم وتوقعاتهم ، فهذه هي الطريقة

قلب رئيس المحكمة نظره في الأضابير المطروحة أمامه ، ثم صاح بالمتهم — قف ! إن اسمك « ياتوسلاف ماتوشك » ، وعمرك أربعون سنة ، ولكنك ما زلت عزباً . وقد اشتغلت في « براتسلافا » زمناً ما . ثم حولتك إدارة البريد إلى هذه البلدة ، فسببت لها كثيراً من الألم ، ونهضت على أهلها الحياة ، ولا أستطيع تعليل ذلك . ولكن لعلك تخبرنا عن السبب الذي حدا بك الى فعلك ! فأجاب المتهم — بالتأكيد . ولكني لا أستطيع أن أشرح ذلك في كلمات قليلة . فاسمح لي قبل كل شيء أن أوكد لك أنني كنت دائماً ، وما زلت ، بطلاً من أبطال الصدق ، بل أقول انني كنت وما زلت متعصباً للصدق تعصباً دينياً ، إذا صح هذا التعبير ! ونقل المتهم بعمره من الرئيس الى الجمهور ، ووجه الكلام اليهم جميعاً ، ثم قال : والآن ، اليكم قصتي ... لقد مرّ الكثير من المراسلات بين يدي في مكتب البريد ، فأحببت أن أكوّن لنفسي فكرة عامة عن

« كورت » وقد ذهب الى « راجا » أسابيع قليلة ، وقال له في تلك الرسالة : « متى تعود الينا ثانية ايها العزيز كورت ؟ اني لأفتقدك كثيراً فلا أجذك ... » . ومضى في رسالته على هذا النمط ، فلا صفحاتين . على أني أعلم أن رأي السيد « نوافك » في السيد « كورت » ، رأي مخالف لما جاء في تلك الرسالة ... وبما انه ليس من وظيفة مصلحة البريد أن تشجع الكذب ، أو تعمل على نشره في الناس ، فقد كتبت حاشية ذيلت بها رسالة السيد « نوافك » ، مقلداً خطه بطبيعة الحال ، قلت فيها : « ... اني لم أقصد بما كتبت اليك إلا السخرية منك ، فاذا أردت أن تعرف ما هو رأي فيك حقاً ، فاعلي من حرج إذا قلت لك بكل صراحة : إنك مكسير عرييد وغد نذل ، خنزير كبير ... » . ثم بعثت بالرسالة ، وكانت النتيجة أن السيد « كورت » ، قابل السيد « نوافك » بعد عودته من راجا ، وحياه بلمكة على فكه .

قال المتهم هذا مستغرقاً في الضحك .

فصاح به رئيس المحكمة — أحسن من سلوكك وقوم من تصرفك ! ولا تنس إنك متهم أيضاً بسرقة أشياء أخرى أرسلت بالبريد ... قال المتهم اني أعلم حقيقة ما تشير اليه ، ولكن هذه ليست سرقة ، أما ما حدث بالضبط فكان هذا : « ذات يوم تسلمنا رسالة من باريس ، عليها هذا العنوان (السيد

الثلي التي رأيتها أنجمع الطريق جميعاً لتنفيذ خطتي ... وبعد مرآة استغرقت ثلاثة شهور كاملة ، وجدت نفسي قادراً على تنفيذ أولى محاولاتي ... وذلك أن شاباً من هذه البلدة كتب خطاباً الى فتاة في بلدة « مورافسكا أوسترافا » ... وكان هذا الخطاب غاية في الكآبة والحزن وخيبة الأمل ... وكان فيه ثلاث غلطات نحوية فاحشة ، بله اخطاء التهجئة ... ولكني كنت قد قرأت قبل ذلك ثلاثة كتب من تلك الفتاة موجهة إلى فتاها ، وقد فهمت من هذه الرسائل ان الفتاة رضية الاخلاق سمحة الشخصية . فعز علي أن يكون كتاب الفتى غريباً لآمالها ، فألقيت به في سلة المهملات ، وأنشأت بدلاً منه خطاب غرام مشرق الديباجة قلت فيه للفتاة « تعالي إلي يا حبيبتي ، اني أريد أن أتزوج منك بغير إبطاء » . وقد جاءت وتزوجت فعلاً ... ولكن ليس من فتاها الأول بل من فتى آخر ، هو صديق له ، أحببته لأول نظرة حباً فاق حبها للفتى الآخر ، وعاشا زوجين سعيدين ... وليست هذه غلطتي بطبيعة الحال ...

وهنا . قال رئيس المحكمة ولكن يظهر انك كتبت رسائل أخرى غير رسائل الحب ... فأجاب المتهم — نعم ... كتبت أشياء أخرى ... ولكن فارقاً بعيداً بين سيئة شابة ، وبين السيد « فرانتا نوافك » ... لقد كتب السيد « نوافك » رسالة الى السيد

غير أن ينبس بكلمة واحدة...
وصاح رئيس المحكمة - إني أمنعك من
افشاء أسرار البريد، وإلا رفعت الجلسة...
وعندئذ مال عضو اليمين على رئيس
المحكمة يهمس في أذنه . وكاد الرئيس يجيبه
لولا أن فأجاه المتهم قائلاً : « ... لا تلق
بالألى ما يقول مستشارك ياسيدي الرئيس ،
إنه غير أهل لصداقتك ... »

وصاح الرئيس بالمتهم - أمسك
لسانك ! ... لا تتدخل في شئون لا تعنيك
المتهم - حسن ... هذه أمور لا
تعنيني حقاً ... ولكنك تخطئ إذ تعامل
مستشارك معاملة الأكفاء ، فهل تعلم ماذا
قال عنك في إحدى رسائله ؟ ... »

وأخرج المتهم ورقة كبيرة ومضى يقرأ
« ... إني لم أرَ في حياتي ، رجلاً أكثر
غفلة من رئيس محكمتنا ... »

ولم يستطع رئيس المحكمة أن يسمع
بقية رأي مستشاره فيه ، فرفع الجلسة ،
وخرج مندفعاً من القاعة فاضباً ، يتبعه عضو
اليمين صائحاً إنه سيوضح له كل شيء ،
ولكن الرئيس رفض أن يصغى إليه ... وجلس
المتهم ، ووقف خلفه أحد ضباط البوليس .
والتفت التهم الى الضابط وقال : لست
أفهم لماذا يكذب الناس هذه الأكاذيب
الكثيرة ، ويظهرون غير ما يبطنون ... لو
أنهم لم يقولوا غير الواقع ، لأصبحت الدنيا
أجل بكثير مما هي ، ولعشنا فيها سعداء !

الكونت « مونت كريستو » الثاني ، يحفظ
بشباك البريد) . فلما قرأت هذا العنوان
أخذت بغرابته فاشتبهت فيه ، ففضضت
الرسالة ، ووجدت بداخلها ثلاث صور ...
أعلم ما هي ؟ إنها ثلاث صور بذئبة وضيفة
مسافلة ... ولم تكن بالصور التي ربما قد
يذهب إليها خيالك . ولكنها قبضت
نعمي ، على أية حال ، وجعلتني أشتن من
منظرها ، ومن السيد الذي كانت مرسله إليه .
ولكي أعلن عن اشتنازي لهذا السيد ،
ألقيت بالصور القذرة الثلاث في الموقد
ووضعت بدلاً منها ورقاً أخذته من
المرحاض ، حتى أؤكد لهذا السيد تقززي
من الصور المرسله إليه ... ولكن ... هل
تستطيع أن تتصور أو تتخيل من ذا الذي
جاء في اليوم التالي لامتلاام تلك الرسالة وما
تحتوي من صور ؟ لا أظنك تصدق هذا ...
ولكنها الحقيقة ... فالذي جاء لم يكن
غير السيد « كارل دوستالك » ، عمدة هذه
البلدة بنفسه ... هذا الرجل الذي يحترمه
كل انسان ، وهو والد ستة أبناء ... ! »

وعند ما انتهى المتهم من هذا الكلام
انفجر الجمهور المتفرج ضاحكاً ... وكان
« دوستالك » ، عمدة البلدة ، رجلاً بديناً ،
قوي البنية ذا لحية كبيرة بيضاء ورأس
أصلع ، ... فلما سمع هذا الكلام ، وقف
صاكتاً ، ومسح أنفه بمنديل كثير الألوان ،
وخرج من قاعة الجلسة يدلف صامتاً من

من أنواع النبات

الطبي



لمحمود مصطفى الرمياطى بك

﴿ الأَبْهَل ﴾ والعامة تقول الأَبْهَل بالضم شجر من الفصيلة الصنوبرية منبته في وسط أوروبا وأجزاء من آسيا ويزرع في بريطانيا اسمه النباتي *Juniperus Sabina*. وبالا انكليزية Savin وبالفرنسية Sabine تشتمل فروع الصغار وأوراقه وثماره على دهن منصفه فعال يتداوى به مدرراً للطمث وطارداً للدود.

﴿ أزرار الغاسول ﴾ ويقال « غاسول أزرار » هو عشب ينبت بطبيعته في مصر ويعرف « بالغاسول » من الفصيلة المسمبريانثيمية اسمه النباتي *Mesembryanthemum nodiflorum*, L. أي المسمبريانثيم العقدي الزهر وبالا انكليزية Egyptian Fig Marigold وبالفرنسية Ficoide Nodiflore تداءوا به في قديم الزمان منظفاً ومدرراً للطمث.

﴿ الأَسَارُون ﴾ يوناني معرب « أسرون » *Asaron* ويسمى بالناردين البري نبات من الفصيلة الأرسطولوجية تأقلم في قليل من حرجات شمال انكلترة وفي اسكتلندة اسمه النباتي *Asarum europaeum*, L. وبالا انكليزية *Asarabacca* وبالفرنسية Cabaret تسحق أوراقه وجذره وتستعمل عقاراً مقيماً ومسهلاً ومدرراً للبول وإذا امتحلت المسحوق سموطاً (نشوقاً) أحدث إفرازاً غزيراً من المنخريين.

﴿ الأسراس ﴾ ويقال « السراس » نبات يعرف « بالبرواق » في مفردات ابن البيطار من الفصيلة الزنبقية ويزرع في الحدائق الانكليزية اسمه النباتي *Asphodelus ramosus*, L. وبالا انكليزية Tall for Branched Asphodel وبالفرنسية Bâton Royal تستعمل أرومته ضمن عقاقير آخر في مداواة الجرب فقد يصنع منها مروح بالخل للجلد في حالة القُصْبَاء والجرب ﴿ الأَسْفَنْد ﴾ هو « الحسرمل » نبات شديد الرائحة من الفصيلة السذابية ينبت بطبيعته في مصر والعامة تسميه غلقة الذئب و « الخرجويل » و « الحرملان » اسمه النباتي *Peganum Harmala*, L. وبالا انكليزية Syrian Rue وبالفرنسية Harmale وهو ينبت بطبيعته أيضاً في أسبانيا وهنغاريا وشمال أفريقية وبلاد العرب وكشمير وجبال هيمالايا

وغيرها. تستعمل زوره في تركيا طاردة للدود وتابلاً وكذلك للصبيغ باللون الأحمر. والأطباء الوطنيون من الهند يعطون البزور منوماً ونقيع الأوراق في النقرس (وجع المفاصل) وغيره. ويخلطون مسحوق الجذر بدهن الخردل لإبادة أهوام في الشعر. وفي محيط المحيط « قيل حبسه يخرج السوداء والبلغم اسهالاً ويصفي الدم وينوم حتى عدّه الشيخ الرئيس من المسكرات وينفع من داء المفاصل وعرق النساء »

﴿ الأصفر ﴾ اختصار « الإهليلج الأصفر » ويقال هليلج « بلاهزمة معرّب هليلجه » بالفارسية. ثم شجر من الفصيلة الكومبريتية ينبت في جزائر الهند الشرقية والملايو اسمه النباتي Terminalia citrina, rosch وبالا انكليزية Hara Nut وبالفرنسية Myrobalan Citrin وهذا الشجر يستعمل في الدباغة والصباغة وإذا أخذ ثمره يابساً أحدث اسهالاً خفيفاً.

﴿ الأنسبر باريس ﴾ يوناني معرّب ويقال « الأنسبر باريس » و« البر باريس » وبالفارسية « الزرشك » شجيرة ذات شوك من الفصيلة البربريسية تنبت برياً في أوروبا وتزرع أيضاً في الحدائق والسياح للتزيين وبالأخص عندما تكسوها وفرة من الأزهار الصفراء أو الثمار الحمراء اسمها النباتي Berberis vulgaris, L. وبالا انكليزية Barberry وبالفرنسية Epine-vinette. والثمار طيبة حامضة لاشتغالها على الحامض الأوكساليك ولذلك يرغب فيها بإيطاليا وغيرها لعمل الربنيات. وجذرها الغلي في ماء القلي والحاء الداخلي من ساقها ينتجان صبغاً أصفر فاخراً ويستعملان دواءً قابضاً.

﴿ الإيكر ﴾ فارسي معرّب ويقال له باليونانية « أقارون » akaron وهو « الوج » و« قصب الذريرة » في مفردات ابن البيطار نبات كالبردي من الفصيلة القلقاسية ينبت في المنطقة الشمالية المعتدلة اسمه النباتي Acorus Calamus, L. وبالا انكليزية Sweet Flag وبالفرنسية Acore Odorant; Roseau Odorant أرومته عطرية تدخل في صنع مسحوق الشعر وفي الطيوب الآخر وبائعو الحلويات يصنعون منها قننداً وتدخل في صناعة الشراب المعروف « بالجن » وفي الجملة (البيرة). وإذا سحق النبات بأكمله فاحت منه رائحة طيبة وهو ضرب من الأدوية.

وقد يطلق الإيكر أحياناً على أصل نبات آخر من جنس السوسن من الفصيلة السوسنية ينبت في أوروبا وشمال آسيا اسمه النباتي Iris Pseudacorus, L. وبالا انكليزية Yellow Iris وبالفرنسية Iris des Marais تستعمل زوره المحمصة عوضاً عن القهوة وهي مدرة للبول ومسهلة ومقيئة.

باب المراسلة والمناظرة

لبنان ومصر (١)

النص الرسمي للخطاب الذي ألقاه صاحب العزة الدكتور طه حسين بك في الحفلة التكريمية التي أقامها له معالي نائب رئيس مجلس الوزراء وزير التربية الوطنية الأستاذ حبيب أبو شهاب .

سيدي صاحب الدولة الرئيس ، سيدي صاحب المعالي الوزير ، سادتي :

يقول المثل العربي القديم : تسمع بالمعيدي خير من أن تراه . ولم أشعر قط بصديق هذا المثل كما أشعر به الآن . فقد كنت أعلل نفسي سعيدياً بأن أهل هذه البلاد الكريمة يحسنون الظن بي ويضيفون إليّ شيئاً من فضل ، لأنهم يسمعون بي أكثر مما يرونني . ثم أراد فضلكم العظيم أن تستقبلوني وتحفوا بي هذه الليلة وتفضل معالي وزير التربية والتعليم فأهدى إليّ هذا الثناء الجميل الذي سمعته وهأنذا أنهض لأؤدي بعض ما يستوجب هذا الفضل من الشكر ، فإذا أنا مقصر لا أقدر على شيء ، ومفجع لا أجد ما أقول ، ومصدر هذا العي أمران : أولهما أني أعجز الناس عن الشكر حين تهدي إليّ النعمة ، ويسدى إليّ الجليل ، لأنني أرى كل ما يقدم إليّ من فضل أعظم مما استحق وأجل من أن ينهض به الشكر . فأنا في رأيي نقي أقل جداً مما يظن الذين يتفضلون عليّ بالثناء . وثقوا بأنني لا أقول هذا تواضعاً ولا تكلفاً للتواضع ، وإنما هو رأيي في نفسي وفي كل ما يصدر عني من قول وعمل . وأقسم ما أتيت شيئاً من الأمر وما قلت شيئاً وما كتبت شيئاً إلا وهو في نفسي أقل مما كنت أريد وأهون جداً مما يرى الناس فيّ . ومما يتفضلون به عليّ من ثناء . الأمر الثاني : أنني لا أرى نفسي إلا فرداً من الأفراد ، وعمل الأفراد مهما يكن أهون من أن يحفل به أو يؤبه له . لذلك أعتقد أن ما تتفضلون به عليّ الليلة من احتفاء إنما هو موجه إلى مصر . ومن حق لبنان أن يكون بمصر حفيظاً ، ومن حق مصر أن تحفي بلبنان ، فإن الأمر بينهما على ما فيه من رفع الكلفة خلقي بالاكبار حقاً . فهذان الوطنان الكريمان قد تعاونا دائماً على الخير ، وتظاهرا دائماً

على تحقيق المنفعة الانسانية الكبرى ، وأؤكد لكم ان التعاون الخصب بين مصر ولبنان أقدم عهداً وأبعد مدى مما يظن المتعجلون في الحكم .

فنحن لا نكاد نرى وطنينا في فجر التاريخ القديم إلا متعاونين على الخير متظاهرين على نشر الحضارة والثقافة . ولقد كانت ممفيس والاسكندرية يعلمان على نشر الحضارة والثقافة والمعرفة متعاونتين على ذلك مع صور وصيدا كما تتعاون القاهرة الآن مع بيروت على نفس هذا الغرض النبيل . فالود بين مصر ولبنان قديم ، والتعاون بين مصر ولبنان بعيد المدى ، عظيم الخطر ، لا يقتصر نفعه عليهما وحده . بل يتجاوزهما إلى جميع الاوطان التي تحب الحضارة وتريد أن تنفع بها . وما دام الأمر قد جرى على هذا النحو في الماضي فمن الطبيعي أن يجري عليه إلى أبعد آماذ المستقبل ، فانه قانون طبيعي من قوانين الجوار بين هذين الوطنين الكريمين . فلا غرابة اذاً في أن يتبادلا الشناء ، ويتهاديا المعروف ، ويقدرا كل منهما لصاحبه نصيبه في تحقيق المنفعة الانسانية العليا .

وقد تفضل حضرة صاحب المعالي وزير التربية والتعليم فأثني على مالي من مشاركة في الهدف ومن حظ في الانتاج الثقافي والأدبي . فاسمحوا لي أن أعيد عليكم حقيقة من الحقائق الأولية في تاريخ الأدب العربي الحديث ، ولكفي أرى أن تكرارها واجب لأنه أداء للحق واعتراف بالفضل لأصحابه ، وهي أن الأدب الحديث في مصر وفي الشرق العربي كله مدين بنهضته لعلمائكم وأدبائكم الذين سبقوا في القرن الماضي إلى العناية بدرس الأدب العربي القديم واحيائه كما سبقوا إلى توثيق الصلة بين العقل العربي الشرقي والعقل الأوروبي الغربي . وأنا رجل أنفقت حياتي في التعليم وتعودت ألا أرسل الأحكام عفواً دون أن أقيم عليها الأدلة . وما أحب أن أقي عليكم الآن محاضرة في تاريخ الأدب العربي الحديث فانما يكفي أن أذكر بعض الأسماء فذكرها يعني عن كل دليل . يكفي أن أذكر اليازجي والبستاني وصرّوف وزيدان وأن أذكر الضياء ودائرة المعارف وترجمة الالباذة والمقتطف والهلل . فهذه الأسماء كلها واضحة الدلالة على ما قلت من أن علماءكم وأدباءكم سبقوا إلى احياء الأدب العربي وتحقيق الصلة بينه وبين الآداب الأوروبية الكبرى . فمن زعم لكم من أدباء الشرق العربي المعاصرين انه ليس مدين للبنان بشيء من أدبه ، فهو منكر للحق كافر للنعمة جاحد للجمل ساذي : ان كثيراً من الناس يزورون بلادكم الجميلة في فصل الصيف ويلتمسون فيها الراحة والاستمتاع بجمال الطبيعة ، وأنا أشاركهم في هذا ، ولكن أخص نفسي بمتعة لا يكاد يشاركني فيها أحد . فأنا لا استمتع في بلادكم بطبيعتها الرائعة ونسيمها العذب وثمراتها المختلفة المتشابهة خصب ، وانما استمتع فيها بأدب رائع غرض فيه لذة للنفس وحياة للقلب

وتغذية للعقل . وإذا كان الجيل المعاصر قد أعرض عن سنة الجيل الماضي في إحياء الأدب القديم والتعمق في دراسته ، فإن له من الأدب الرفيع حظاً عظيماً سواء في ذلك الشعر والنثر . ثم أنا لا استمتع بأدبكم الذي يتخذ اللغة الفصحى أداة للتعبير خصب ، وإنما استمتع بأدبكم الشعبي الرائع الدقيق النفاذ .

فاذا أنيتم عليّ بأن لي حظاً من أدب ، فإنما تشنون على أنفسكم ، لأنني مدين لكم بهذا الأدب . ولم كنت أريد أن أؤدي اليكم بعض ما لكم من حق ، وأن أشكر حضرة صاحب الفخامة رئيس الجمهورية فضله العظيم ، ولحضرة صاحب الدولة رئيس الوزراء عطفه الكريم ، ولحضرة صاحب المعالي وزير التربية والتعليم كرمه الجهم وثناءه العذب وجميله الذي طوقني به تطويقاً معنوياً قبل أن يطوق عنقي به تطويقاً مادياً كما ترون ، وللبنان كله هذه الأيام السعيدة التي أقضيها فيه ، ولكني كما ترون عاجز عن أن أبلغ ما أريد . وأنا مع ذلك معروف بطول اللسان ، ولكن ربّ نعمة قصرت أشدّ الألسنة طولاً ، والواقع أن نعمكم قد أخفمتني فليقول الله شكركم عني فإنه على ذلك قدير .

حول كتاب محمد عبد الله

للدكتور عثمان أمين ✱

حضرة رئيس تحرير المقتطف

قرأت في باب مكتبة « المقتطف » (ص ١٨٥ عدد فبراير سنة ١٩٤٥) ما تفضلتم تخصّصتم به كتابي عن « محمد عبده » الذي ظهر في مجموعة أعلام الإسلام منذ شهر . وإني مع وافر شكري لجميل عنايتكم بالكتاب وحسن ظنكم بمؤلفه ، أرجو أن تسمحوا لي بكلمة موجزة ردّاً على بعض الملاحظات التي أوردتموها في آخر المقال .

لاحظتم أنني لم أتعرض في كتابي للكلام عن صلة محمد عبده بالحركة العلمية التي ظهرت في الغرب وفي الشرق بقيام مذهب التطور والنشوء . وهذا حق ، فإنني أغفلت الكلام عن هذه المسائل وأشبابها في مذهب محمد عبده ، لأنني إنما أردت أن يكون كتابي في « أعلام الإسلام » تجلية لسيرة الأستاذ الإمام . أما الخوض في فلسفة محمد عبده وآرائه الدينية والاجتماعية ، فقد جعلت له مؤلفاً آخر مستفيضاً ، كتبته بالفرنسية منذ سنوات في « آراء محمد عبده الفلسفية والدينية » وهو البحث الذي قدمته إلى جامعة المربون لنيل درجة الدكتوراه في الفلسفة ، وتقوم الآن بطبعه وزارة المعارف .

وقلتم حضرتكم ، في معرض الكلام عن موقف الشيخ محمد عبده والسيد جمال الدين الأفغاني من أنصار مذهب « التطور » إن « الخطوة التي خطاها السيد والشيخ كانت خطوة علمية ولكن إلى الوراء ... والحق إن الكلام في ذلك كان خارجاً عن مجالها ، فلم يصيبا فيه ولم يوفقا في نقودهما التي وجهها إلى المذهب الذي قلب نواحي الفكر في القرن التاسع عشر » .

وملاحظتي على هذا القول أنه إن صحَّ إلى حدٍّ ما بالقياس إلى السيد جمال الدين ، فليس يصح مطلقاً بالقياس إلى الشيخ محمد عبده : فإن الاستاذ الإمام كان موقفاً بحقيقة التطور ، مناصراً له على نحو لم يسبق إليه . وأكثر من هذا أنه أراد أن يطبق معاني ذلك المذهب ، ولكن في صورة روحية ، على العقائد الإسلامية ، وأن يجعل له في تفسير القرآن نفسه مكانة ظاهرة ، وهذا ما أخذ عليه بعض المحافظين من الأزهريين . بل إن للشيخ نظرية طريفة في فلسفة التاريخ الديني ، يتجلى فيها هذا الاتجاه بوضوح ، وقد تناولها بالعرض والنقد في فرصة أخرى . وهذا وكثير غيره قد بسطته في بحثي الفرعوني الذي أشرت إليه ، وستظهر ترجمة له عن قريب .

بقي أنكم استدرستم على لفظ « اللاهوتي » الذي استعملته وصفاً للاستاذ الإمام باعتباره صاحب مذهب في الدين . وقد آثرتم حضرتكم أن تترك هذا الاستعمال للكلام في اللاهوت المسيحي ، وذهبتم إلى أنه « لا يوجد لاهوتية في الإسلام ، ولا يوجد لاهوتيون عند المسلمين » .

ولسكني أعرف أن الدين شيء واللاهوت شيء آخر ، وأن الدين يسبق اللاهوت : ذلك أن الأفعال الدينية وإدراك الأمور الإلهية بالحدس الغامض ، صملان سابقان على عمل الفكر الذي يروِّي ويتأمل مسائل الدين . فإذا صحَّ أن في المسلمين ، كغيرهم من أهل الأديان ، من يشعر شعوراً دينياً ، ومنهم من يفكر في المسائل الدينية تفكيراً عقلياً ، فلست أرى وجهاً لأن نقصر استعمالنا لللاهوت على التفكير في الدين المسيحي . (١)

ولعلكم حسبتم أن اللفظ لم يستعمل في لغتنا العربية كما استعمل في اللغات الأخرى . ولكن الواقع أن لدينا نصوصاً كثيرة ورد فيها ، وبخاصة عند المشتغلين بتاريخ الملل والنحل من مؤلفي العرب . يضاف إلى ذلك أن لأهل التصوف من المسلمين نظريات معروفة في

(١) من غرائب الصدق أنني وجدت حضرة الاستاذ نفسه ، في كتاب له ، يصف الترهخ محمد عبده بقوله « كبير لاهوتي مدمر في القرن الماضي » (« ملق السبيل » ص ١١٢) .

التفريق بين ما يسمونه « عالم اللاهوت » و « عالم الناموس » .. الخ ، ولا يسمح القام بالخرس فيها . فإذا كان اللفظ مستعملاً في اللغة العربية ، وكان المعنى الذي يؤديه معنىً عامّاً لا يقتصر على دين خاص ولا يختص بجملة بعينها ، فليسمّ العدول عنه إلى غيره ؟
ولا يسعني أخيراً إلا أن أوجه أصدق التحية والتقدير لأدبكم العالي في النقد ولفئاتكم البارعة في العرض والسلام
دكتور عثمان أمين

تتمة لبحث العرب عرفوا أميركة

جاءنا من حضرة الأب أنستاس ماري الكرملّي السكامة الآتية :
زارني الأستاذ محمد عبد الجواد الأصمعي ، من كتبة دار الكتب المصرية في ١٩٤٥ / ١ / ٢٠ فذكرت له ان مجلة المقتطف تنشر مقالا في جزء فبراير عنوانه : « عرف العرب أميركة قبل أن يعرفها أبناء الغرب » . فقال : وهل ذكرت في هذا العدد ما جاء في الجزء الأول من مسالك الأبصار ص ٣١ المطبوع بمطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٢٤ ؟ قلت لا . وما هذا النص ؟ قال : سأنقله لك نهار غد وأبعث به إليك . وفي اليوم جاءني ودونك نصه :

﴿ تخيل علماء الاسلام لوجود أميركة قبل اكتشافها بقرن ونصف ﴾
« وقال شيخنا فريد الدهر أبو الثناء محمود بن أبي القاسم الاصفهاني امتع الله به .
« لا أمتنع أن يكون ما افكشف عنه الماء من الأرض من جهتنا ، منكشفاً من الجهة الأخرى . وإذا لم أمتنع أن يكون منكشفاً من تلك الجهة ، لا أمتنع أن يكون به من الحيوان والنبات والمعادن مثل ما عندنا ، أو من أنواع وأجناس أخرى ^(١) والذي ظهر لنا من ذلك عقلاً ونقلاً ذكرناه . وبالله التوفيق .

هذا ما ورد في الجزء الأول من مسالك الأبصار وتعليق المرحوم شيخ العرب زكي باشا على هامش ما أورده . فأرجو إحقاقاً للحق وخدمةً للتاريخ الاشارة إلى هذا . وتفضلوا بقبول وافر الاحترام

محمد عبد الجواد الأصمعي
بدار الكتب المصرية

(١) للاصفهاني (وهو بمصر) فضل السبق على كرسثوف كولومب (وهو بالاندلس) لانه قال بهذه النظرية بقرن ونصف قرن . وللصفهاني فضل أكبر على مكتشف أميركا ، لانه تخيل وجودها بقوة الفطنة والاستدلال . وأما كولومب فتحيل فقط وجود طريق جديد يوصل للهند من جهة الغرب . توفي أبو الثناء في سنة ٧٤٩ هـ (١٣٤٨ م) وأما كولومب فقد اجتهد في افناع فردينند وايزابلا صاحبي الاندلس بصدق نظريته في سنة ١٤٩٢ ميلادية (الموافقة لسنة ٨٩٨ هـ)



مكتبة المقتطف

خمسة كتب للاستاذ اسعاف النشاشيبي بك

١ — قلب عربي وعقل أوربي

خطبة ألقى في دار الجمعية الأميركية في بيروت سنة ١٩٢٤ ، وكأني بالاستاذ الكبير قد تنبأ في هذه الخطبة بما سيحدث في العالم العربي من الأحداث الجسام بعد عشرين سنة . فقد رأينا كيف يعمل العرب على إقامة جامعتهم العظمى بقلوب عربية وعقول أوربية ، فاجتمع للعرب بذلك مجد العمل على نشر ما اندثر من قوام العرب والعروبة ، مسيرين في ذلك مقتضيات المدنية الأوربية الحديثة . ولعمري إن في هذا حياة كم تمنّاها العرب ولم حلّوها بها منذ أجيال ، فإذا حققت اليوم فإن تحقيقها إنما يرجع إلى القلوب التي حنت عليها والعقول التي فكرت فيها ، وأستاذنا النشاشيبي بقلبه العربي الكبير وعقله الأوربي الناضج أحد الذين مهدوا بأرواحهم الكبيرة سبيل هذه الجامعة .

وقد رمى في خطبته هذه إلى الاستمسك بأهداب المدنية الأوربية والعكوف على درسها واستيعاب روحها العليا — فإنها على حد قوله — الملجأ الذي يحمينّا عقاريتها والقوة التي تبعد عنا شرهم وضرهم وتجلب علينا خيرهم قال :

« فالعربي الذي يكره الينا هذه المدنية ويثلب علمها ونظامها وفنّها ويسخر من روادها ، لا يروم أن نحيا في هذا الوجود أو أن نسود ، بل يريد أن نبید ، أو أن نعود في الناس مثل العبيد . وهذا عدو ، وما تمّني عدو لعدوه خيراً . والعدو تخرز منه وإن نصح ففي نصحه ريق الحياة . أو صديق ضال . جهل الحال فقال . وإذا حمق صديقك ، أو ضيع عقله ، فتصدق به على ابليس »

٢ — مقام ابراهيم

خطبة القيت في حفلة التأبين الكبرى التي أقامها رجال الكتلة الوطنية في الشام لفقيد العرب البطل المجاهد ابراهيم هنانو ، وهو قائد الثورة السورية في أعقاب الحرب العظمى ، فلما هدمت قنابل الفرنسيين أنحاء من دمشق خرج ابراهيم الى البادية ومعه أبطال من العرب شنوا عليهم الحرب ، ثم نزل فلسطين بوعد من الانجليز ، انه آمن فيها ، ثم سُلم برغم ذلك الى السلطات الفرنسية ، فقتل ومات بطلاً جديراً بما في دمه من نخوة اجداده الأولين . وهذه الخطبة مريثة تفيض ايماناً وقوة ووطنية جديرة بأن تصدر من قلم رجل يعد في عصرنا هذا من طراخنة الأدب المقدمين .

٣ — العربية وشاعرها الأكبر احمد شوقي — اللغة العربية والاستاذ الريحاني —

العربية في المدرسة

ثلاثة موضوعات تناوَلها هذا الكتاب الفذ وغرضها هدف واحد ، هو أن اللغة العربية لغة مدنية لا لغة بدوية . والمعنى المرموق من هذا ان اللغة العربية فيها القدرة على خدمة المعارف والعلوم والفن والحكمة ، وانها قادرة على القدرة على مسايرة المدنية الحديثة كما سارت المدنية التي سبقتها ، وانها كما استطاعت أن تنقل كنوز اليونان والرومان ووسع صدرها أعظم نتاج أخرجه الفكر الانساني في المدينيات القديمة ، كذلك هي تسع نتاج الفكر الحديث . وفي الواقع أن هذا القول صحيح من جميع الوجوه ، وان الذين يذهبون غير هذا المذهب ، إنما هم بعيدون عن العربية وعن أسرارها المخيبة في بطون الكتب . وقد ضرب الاستاذ على ذلك الأمثال وساق من الأقوال ما يقنعك بأن لغة العرب أوسع اللغات ، جميعاً وأعمرها بالمفردات والأساليب .

٤ — البطل الخالد صلاح الدين والشاعر الخالد احمد شوقي

هذا الكتاب صرخة داوية خرجت من أحماق قلب يؤمن بالاسلام والعرب . ففي بحنه الأول في صلاح الدين الأيوبي يريك كيف انتصر العرب المسلمون على أهل الحروب الصليبية في وقعة حطين ، وهي الوقعة التي قضى فيها جيش الشرق على جيش الغرب . وفي بحنه الثاني قرن شاعرنا شوقي بالشاعر الخالد العظيم أبي الطيب احمد بن الحسين المتنبي ، وأظهر بأدبه الجم وسعة علمه ، ان الشاعر شوقي هو سيد شعراء العصر غير منازع ، وماق الكلام في بحنيه

سوق العارف المطلع ، فأبرز فيها صوراً لو ترجمتها ريشة الفنان في لوحات لخرجت فناً رائعاً يهزّ نفسك ويبعث فيك روح العرب والعروبة ، روح الحرية التي دان بها العرب منذ أقدم عصورهم ، تلك الحرية التي كانت قبل الاسلام وبعده ، وقبل النصرانية وبعدها ، وقبل الموسوية وبعدها ، طابع العرب الخالد ، وستظل طالبعلمهم إلى آخر الدهور .

٥ — البستان : كتاب الاستظهار للمدارس الأولية والابتدائية

هذا الكتاب نسيج وحده بين الكتب التي عني أصحابها بتهديب الطلاب الناشئين . وهو نسيج وحده لأنه من صميم أدب العرب المأثور ، ومن كلام فصحاء العرب شعراء وناثرين ، وهو بنسجه هذا خير ذيوان يدخل أدب العرب في نفس الناشئ غير محمّل أنه من مأثورات الأدب القديم ، ويطلع ألسنتهم بأسلوب قويم صحيح العبارة مختار اللفظ . وحسبنا أن نقول فيه أنه من اختيار أديب العرب ، من أدب العرب ، لأبناء العرب . ولا جرم أننا إذا دعونا المربين إلى الانتفاع بهذا الكتاب الثمين ، الذي يصح أن يكون متعة للناشئ والمتأدّب معاً ، فأنما ندعو واثقين أن خير ما يربّي العربي أدبه ، وخير ما يسودّ العربي روحه . وفي هذا الكتاب من أدب العرب وروح العرب ، ما يكفل الناشئ تربية عربية صحيحة .

التعليم الريفي والزراعي في تركيا الحديثة

بقلم حسن احمد السلطان : مطبعة التفيض الاهلية — بغداد — ٦٠ صفحة من القطع الكبير

وقد تناول فيه الأستاذ مؤلفه ناحية من النواحي التي نرجح اخواننا الأتراك في معالجتها نجاحاً مقطوع النظير ، والكتاب من أنفع الكتب التي تثير سبيل نشر التعليم الذي يحتاج اليه أهل الريف مقروناً بمعلومات قيمة في الزراعة المحلية . وهذا ضرب من الإصلاح يجب أن يصرف فيه من الجهد والمال ما يجدر بأهم الشرق جميعاً أن لا تضنّ به . وقد عرض فيه مؤلفه الفاضل الى التعليم الريفي الابتدائي وآتى على قانون التعليم الريفي ومنهج التعليم وبناء المدارس الريفية ولوازمها وأثاثها والامتحانات والتفتيش على المدارس ومميزات التعليم الريفي ، ثم انتقل بعد ذلك إلى الكلام في معاهد اعداد معلمي الأرياف ثم إلى الكلام في التعليم الزراعي المتصل بالتعليم الريفي .

وقد حلّى الكتاب بكثير من اللوحات والجداول البيانية التي تم الفائدة المرجوة منه . والواقع ان هذا الكتاب جديرٌ بأن يطلع عليه كل المشتغلين بنشر التعليم في الشرق العربي .

رابندراناث تاجور : والوحدة الروحية

بقلم محمود المنجوري — ١٠٢ صفحة من القطع الكبير —
طبع مطبعة المقتطف والمقطم سنة ١٩٤٣

الأدب الشرقي فلسفة روحية ، والأدب الغربي فلسفة مادية . وفي أدب طاغور المثل الأعلى لأدب الشرق الروحي . وفي فلسفة نيتشه وأضرابه المثل الأعلى لأدب الغرب المادي . وبين الأديين ، وإن شئت فقل بين الفيلسوفين ، ذلك الصدع الذي تلمسه في هدوء النفس الشرقية وتساميتها عن الماديات ، وفي ثوران النفس الغربية التي تغلي الآن مراجعها في أكثر قارات الأرض . ولقد أرسل طاغور من قبل نبوءته الكبرى ، نبوءة أن الغرب إذا لم يعد إلى فلسفة الروح أكلته المادة ، وسوّت عليه القوة الغاشمة ، وطاحت به مطاعم النفوس الغليظة . ولا شك في أن هذه الحرب التي رمى مشعلوها إلى استعباد أهل الأرض وتسخيرهم لمطامع المادة ، قد ضربوا المثل وزودوا الغرب بالموعة ، فكانت أول صرخة من الغرب نسمعها إبان الحرب ، إنما هي صرخة الحرية التي هي عنوان الروح ، بل استصرخ الغرب أم الشرق ، ورجع زعمائوه إلى مبادئ الانسانية العليا ، يقولون بأنها نصيب الجميع وحق الجميع ، حق القوي وحق الضعيف ، حق الكبير وحق الصغير . لم يقولوا بذلك إلا لما أدركتهم الغاشية ، غاشية الحرب والدمار والموت . بل قل غاشية المادية الخسيسة . لم يسمع الغرب صوت الشرق ، بل انه لم يسمع صوت طاغور في تبثله إذ يتوجه إلى الملاء الأعلى ينشد سلام الروح فيقول :

جُذِّدْ عَلَيَّ بِشَمَاعِ مُنْجٍ مِنْ كِهَاتِ غَفْرَانِكَ وَأَيَقِظْ رُوحِي .
أو وهو يقول :

يا مهيمنًا على جميع الأمم وإن اختلفت ألوانها ، وحد بين قلوبنا وألهمنا تبادل المحبة .
لا أزيد على هذا شيئًا في التعريف بصفة هذا الكتاب الذي ينبغي أن يكون بين يدي كل إنسان ينشد سلام النفس وصفاء الروح . انك إذا قرأت هذا الكتاب فانك لا تقرأ طاغور ، وإنما تقرأ الروح في أسنى معالمها وأزكى نزعاتها . انك لا تقرأ طاغور وإنما تقرأ روحك إذ تستيقظ ، ونفسك إذ تتجلى وتشرق .

ولكني أزيد فوق ذلك كلمة في أسلوب الكتاب ، فإن كاتبه الفاضل قد امتدَّ الأسلوب الذي أداه به من إشراق روحية ، فاض عليه بها الشاعر الإلهي طاغور .

عطر ودخان

تأليف الكاتب القصصي المعروف محمود تيمور ، نشرته لجنة النشر للجامعيين

١٧٦ صفحة من القطع الصغير

مقالات قصيرة فيها الفن والقصبة والخيال والوصف والتأمل . جال فيها الاستاذ محمود تيمور كثيراً من نواحي الاجتماع وبرّز التبريز كله في وصف بعض الشخصيات المعروفة من أهل هذا الجيل وإنك إذ تقرأ له ما تناول به هؤلاء ، لا تعرف ، إذا وضعت نفسك موضعه ، كيف تخلص من موقف بعد موقف وهو يتناول هذه الشخصيات ، فلا تخرج نفسك ولا تخرج صاحبك . ولكن الأستاذ تيمور يستطيع بلهافة القصص الماهر أن يدور بك دورة فلا تلبث أن تجد نفسك أمام تيمور وصاحبه متصافيين متصافحين ، وكأنهما لم يقعا قط على مقدار ما يغضب من مقدار ما يرضي . وهذه مقدرة الفنان القاص الذي يعالج أعقد المواقف بلهافة العالم الرياضي ، الذي يضع أساس المعادلة الجبرية ، فلا تخرج منها إلا بالنتيجة التي يبغيها . واني لأعلم علم اليقين أن غير تيمور ، لو تناول شخصية وأراد تحليلها ليصل الى مثل ما يصل اليه ، إذا لتوانبا ثم فقا الناقد عين المنقود ، وجدع المنقود أنف الناقد ، وانجالت الموقعة عن ضحيتين ، وقعنا على كل ما يغضب ، ولم يعرفنا قط ما يرضي . ولهذا الكتاب ميزة ما يكتب تيمور من سلاسة العبارة وحلاوة الأسلوب وهدوء الطبع ، وحبذا لو انتحى الاستاذ المؤلف هذا المنحى ، فانه ولا شك يضيف الى أدبه الجم أدبا محبباً شهياً المأخذ حلو الأداء .

الأخلاق والواجبات

للاستاذ الشيخ عبد القادر المغربي عضو مجمع فؤاد الاول للغة العربية ، ٣٣٠ صفحة من القطع الكبير كتاب مدرسي في تهذيب أخلاق الناشئة الاسلامية يجمع بين حاجة المربي والمعلم ، فيه كلمات جامعة وأقوال في الحكم والآداب ، وقد اقتصر فيه مؤلفه الفاضل على اقتباس ما ورد في الكتاب السماوي والحديث النبوي ، اللهم إلا ما جاء عرضاً من أقوال الحكماء ، مما يلتحم معناه مع معنى الآية والحديث . والكتاب مفرغ في قالب حسن وأسلوب سهل المأخذ قريب التناول ، وقد علّق عليه من الشرح والتفسير ما تستدعيه الحاجة ، ويتطلبه ذهن المطالع .

والكتاب من أتمن كتب التهذيب الخلقي ، وفيه من المثل ما يخاطب النفس والعقل ، وفيه من الحكمة ما يرضي الأديب وطالب الأدب .

بَابُ الْإِخْبَارِ الْعِلْمِيَّةِ

من معجزات العلوم والفنون

الصمامات الكهربائية

الصمامات الكهربائية أنابيب مفرغة من الهواء كالتي يحويها المذياع — وهي تساعد على تسهيل النقل بوسائله المعروفة ، على اختلاف أنواعها . وسوف تصير منافعها من عوامل الانقلاب الذي ينظر حدوثه عقب انتهاء الحرب الحالية ، ومنها أجهزة الرائد اللاسلكي ^(١) الصغيرة الحجم . وهذه تقوم بمنع اصطدام السيارات بعضها ببعض كما تحذر راكب السيارة من العربات التي تكون قادمة من طريق خفي مقاطع مسيره .

مصاييح لاشارات المرور في السيارات

وستصبح لوحات أجهزة قيادة السيارات المركبة في صدورها ، محتوية على مصاييح كهربية صغيرة ذات ألوان حمراء وخضراء تقوم للسائق مقام « لافتات » المرور في الطرق العامة . وستكون هذه اللافتات مصحوبة بنغمتين موسيقيتين هما — قف — ورس — « فلن تبقى حينئذ حاجة الى وجوب التنفيس في مصاييح الاشارات التي قد امله ليستشرف ^(٢) أضواء المرور واشاراته التي ربما تختلط بلوحات الاعلانات الكهربائية الملوثة بغازات النيون والارغون والزئبق . أما في الظلمة فتقوم البصاصات الكهربائية التي تركيب في

(١) يرى كاتب هذه السطور أن خير ما يترجم به لفظ radar هو الرائد اللاسلكي (٢) استشرف

الشيء رفع بصره لينظر اليه (٣) الطوار — ما كان بجذاء الشيء أو على حده — تروار

يسترشدون في طيرانهم بالأجهزة الأوتوماتيكية التي توجههم الى أهدافهم . ولا غرو فالعيون الكهربائية المنبثة على قوارع الطرق الرئيسية الأمريكية تضطلع الآن من تلقاء نفسها بتقدير سرعة كل سيارة تمر بها وتعلنها نوا للشرطة أو للسائقين أنفسهم ليرعوا عن مجاوزة السرعة المقررة . وذلك بإشارات كهربية

الراديو المصور في السيارات

وسيحل يوم عقب الحرب الحالية يستطيع فيه صاحب السيارة طبع جريدة صغيرة الحجم إذ يكون مضطجعا على مقعد سيارته وذلك بالموجات اللاسلكية وكذلك يغدو في وسعه وهو بعيد عن العمران رؤية صور الوقائع والحوادث عن طريق الراديو المصور الذي تجهز به سيارته .

الراديو والاجهزة الكهربائية في القطارات

وقد أذنت حديثاً مجالس إدارات شركات سكك حديد الولايات المتحدة الأمريكية لضغط أهالي بلادها الخاص باتخاذ الوسائل الفعالة لمنع حوادث المصادمات المروعة فأمرت بتركيب الراديو والأجهزة الكهربائية في قطراتها ابتغاء سلامة ركابها . وكان ذلك نتيجة حادث فظيع ذهقت فيه أرواح كثيرة حينما أوفد رجال الاشارات (الأشرجية) لوقف قطرات سريعة كانت قادمة إلى إحدى المحطات (على خطوط مشغولة) فأخفقوا ف وقعت الطامة . ولذلك ركبت في قطرات الشركة تليفونات لاسلكية لتخاطب بها القطرات بعضها بعضاً ، كما تخاطب مركز الرياسة المشرفة على تسيرها . وبهذه الوسيلة يستطيع مهندسو القاطرات ومدبرو القطرات الاتصال دائماً اتصالاً شخصياً وثيقاً بعمل القطرات القريبة منهم جميعاً . وهذا مما تترتب عليه سلامة

الركاب ومنع تأخير القطرات ثم ابطال الطريقة العتيقة التي تقضي بإيفاد (الفرملجي) حاملاً فانوسه أو رايته محذراً من الخطر الداهم حيث يقطع ميلاً أو أكثر ويستغرق وقتاً ثميناً ربنا يعود . ومع أن كل سفينة وطائرة على اتصال دائم بالعالم وذلك بالتليفون والتلغراف اللاسلكيين فإن عمال القطرات يصيرون في عزلة تامة عن المسكونة حينما تسير بهم قطراتهم ناهية الارض نهياً . ومثال ذلك ان الراكب الذي يسافر من محطة نيويورك الى محطة شيكاغو بالقطار السريع الفاخر المسمى (الطيار) يتمتع بوسائل الراحة والرفاهية جميعها بيد انه يحرم في خلال تلك الرحلة ، الاتصال المباشر باله وصحبه ، كمن يطوي البعيداً على متون الابل . بينما الراكب الذي يحظى بالسفر في أحد القطارين الأمريكيين « القرن العشرين » أو « برودواي ليمتد » يستطيع

في أثناء سفره مباشرة أي عمل من أعماله الضرورية مع عماله وعماله في طول البلاد وعرضها وذلك بواسطة التليفون اللاسلكي المركب في قطاره . ولذلك وجه المخترعون

الاميركيون همهم الى اختراع أجهزة كهربية للإشارات التي تحتاج اليها أشغال السكك الحديدية بغية تسهيل القطارات بلا أدنى تأخير ، على عكس ما هو جارٍ الآن

التليفون اللاسلكي في قطارات البضائع

ومن التحسينات التي تمت هناك في قطارات البضائع ، تركيب أجهزة للتليفون اللاسلكي توصل مائق القاطرة بعربة

الفرملجي في القطار . وهي من ثمرات الحرب الحالية التي تستعمل دائماً عقب انتهائها وذلك في القطارات المدنية .

المذياع في حجر استراحات المحطات

وحتى حجر الاستراحات في محطات سكك حديد المدن الصغيرة الحالية من وسائل الترويح عن النفس . متجهز بأجهزة الراديو لاذاعة الموسيقى والأخبار التي تخفف عن روادها سأم طول الانتظار ، وستكون تلك الاذاعات مصحوبة بمواعيد قيام السفن

وعودتها ، وبكل ما يهم الركاب الوقوف عليه في غضون أسفاوهم في السكك الحديدية بحيث تتم هذه الأعمال جميعها بأقل النفقات إذ تستعمل فيها أجهزة التلغراف الحالية وأسلاكها دون إحداث اضطراب في عمل التلغراف العادي .

العيون الكهربية في أفنية بضائع المحطات

هذا وستركب أيضاً البصاصات الكهربية على خطوط عربات البضائع الواردة لتقوم من تلقاء نفسها حين دخول القطارات الحاملة البضائع الى المحطة بنقل أرقام كل عربة حين مرورها أمامها ثم تطبعها في سجل المشرف

على فناء المحطة ولا سيما في الليالي الحالكه القارسة البرد فيستغنى بها عن العمال المختصين الذين يؤدون أعمالهم حاملين فوانيسهم لتضيء لهم الطريق وتبين أرقام تلك العربات ليقيدوها في السجلات الخاصة بها .

صمام الامن البشري

تعتمد الآلة البخارية المصرية اعتماداً كبيراً على الصمامات الأوتوماتيكية التي تؤدي وظائفها على خير وجه لكي تسير الآلة سيراً

صالحاً وفق المرام . والواقع أن أتقن صمام في العالم هو الذي اخترعته الطبيعة فجاء صالحاً للأجسام البشرية كل الصلاحية وذلك منـزـ

بدء الخليقة حتى الآن وإلى الأبد أي من قبل أن يفكر أي مخترع في اختراع الآلات البخارية أو يحلم أي انسان بالمحركات الغازية وهذا الصمام البشري الذي يكفل سلامة الانسان هو « لسان المزمار أو اللهاة » . ولعل كثيرين من القراء يعرفون وظيفة ذلك العضو إذ هو كامن خلف الفم حيث يمر الهواء ويعترضه الغذاء . ووظيفة اللهاة هي

القيام من تلقاء نفسها باغلاق القصبة الهوائية « قصبة الرئة » في كل مرة حينما نبلع الطعام ولو عجزت اللهاة عن الاضطلاع بتلك المهمة لاستطاعت خنقنا كل دقيقة من دقائق طعامنا . فهذا الصمام البشري يؤدي عمله الاوتوماتيكي إذن بغاية الاحكام خير من أي صمام اخترعه الانسان لاية آلة عرفت حتى الآن . عوض جندي

الغاز العلم

(تابع المنشور على الصفحة ٢٠٢)

وقد وجد علماء النبات والحيوان ، بعد ده فريز تباينات متعددة في أصناف شتى من النبات والحيوان . ولكن ما شاهده هؤلاء العلماء من التحولات الفجائية قليل لا يكفي لتعميل نشوء أنواع النبات والحيوان التي تعد بالملايين ، خلال القرون المتطاولة

ثم طلع نجاة على العالم منذ نحو ١٥ سنة ، بحث مُلَسَّر وأقرانه في ما للاشعة السينية من تأثير في صبغيات الأحياء وما فيها من عوامل الوراثة . وأن هذا التأثير يسفر عن تحولات فجائية عجيبة في نوعها وعددها ، وانها تورث . ومن ثم تقدم بعضهم برأي مؤداه أن الأشعة الكونية أشد نفاذاً عشرات المرات من الأشعة السينية ، فلعلها تؤثر في الأحياء فتحدث تغييراً في تركيب عوامل الوراثة فيها ، وأن تاريخ التطور يشير إلى أن ظهور الأنواع الجديدة سار سيراً بطيئاً بعد ظهور الحياة على سطح الارض . ثم أسرع تطور الأحياء فكثر ظهور الأنواع الجديدة قبيل العصر الكمبري (الجولوجي) وفي اثنائه . ثم تلا ذلك دور كان من أظهر مظاهره ببطء التطور . ثم تلاه دور آخر أسرع فيه التطور . وهذا يمكن تعليله بأن الأشعة الكونية لا تأتينا من جميع انحاء الفضاء على السواء وان النظام الشمسي - ومنه الارض - كان في سيره السريع خلال الفضاء يحترق آناء منطقة تكثر فيها الاشعة الكونية فتؤثر في الأحياء كتأثير الاشعة السينية فتكثر الأنواع الجديدة ويسرع التطور العضوي ثم يحترق منطقة أخرى تكون الاشعة فيها ضعيفة فيبطؤ التطور ويقل ظهور الأنواع الجديدة فالعلماء في فهم التطور أو أحد ركنيه - وهو ركن الصفات الملائمة للبيئة التي تورث - لا يزالون في اول التيه .

هَدِيَّةُ الْمُقْتَطَفِ السَّنَوِيَّةِ

لِسَنَةِ ١٩٤٥

سبعة كتب في كتاب

قام المقتطف في حياته التي بلغت سبعين سنة ، وإلى جانب مجلداته التي بلغت مئة ومائة مجلد ، بخدمة أدبية لا تقل عن خدماته التي أداها للعالم العربي في حياته الطويلة بمجلداته تلك ، إذ جرى على أن يهدي مشتركيه كتاباً يعوّض به احتجاب المقتطف شهرين في نهاية كل سنة . وإذا استعرضت هدايا المقتطف منذ نشأته إلى اليوم وقعت على مكتبة كاملة في التاريخ الطبيعي والفلك والارتياد والكيمياء والفوسيقى والأدب والقصص . وسيضم المقتطف إلى هذه الثروة الأدبية العلمية ثروة جديدة إذ يقدم لمشاركيه عن سنة ١٩٤٥ هدية متازة هي الجزء الثاني من كتاب

المنتخبات

بقلم العلامة الكبير احمد لطفي السيد باشا

الذي يضطلع اليوم برياسة مجمع فؤاد الأول للغة العربية بعد أن نشأ جيلًا برمته عند ما كان رئيساً وموجهاً للجامعة فؤاد الأول . هذا إلى ما لزمه الأدبية الأخرى التي يضفي بها على الأدب العربي لباساً جديداً بترجمة ارسطوطاليس ، يضاف إليها فصوله الباقية التي نشرها في « الجريدة » ومنها نستخلص هذه المنتخبات .

والجزء الثاني من هذه المنتخبات سبعة كتب في كتاب : وهذه موضوعاتها :

الكتاب الأول : في التربية والتعليم

التربية والتعليم — حالة التعليم عندنا — إلى القائمين بالتربية والتعليم — مذاهب التربية — المذهب العلمي للتربية والتعليم

الكتاب الثاني : الى نواب الامة

الى نواب الامة — حريتنا — الحرية ومذاهب الحكم — الاحزاب — حقوق الكافة
وسلطة التشريع — حرية التعليم — حرية القضاء — حرية الصحافة — حرية الخطابة —
حرية الاجتماع — مذهب الحرية مفيد للافراد وللامة جميعاً — خاتمة

الكتاب الثالث : مشاهدات عامة

اليأس — الحال الاخلاقية — حالنا الاقتصادية — حالنا السياسية — مشاهدة
بسيكولوجية .

الكتاب الرابع : في اللغة العربية

التأليف باللغة العربية — الى الامام : في اللغة أيضاً — اللغة العربية — راقوا لغتكم .

الكتاب الخامس : البنات والابناء

أبناءؤنا وبناتنا — بناتنا وأبناءؤنا — البنون والبنات — الى الفتيان : الوطنية .

الكتاب السادس : في التأمل

القدوة الحسنة — الآثار القديمة — آثار الجمال وجمال الآثار — ربيع الحياة — جني
القطن — أول العام — الرجل السعيد — الرجل الصريح — زهر الربيع — الصداقة

الكتاب السابع : بحوث عامة

سلطة الامة — في سبيل الارتقاء — الحرية — تضامننا — مصريتنا — المصرية —
آمالنا — التقليد — سر تطور الأمم — الحرية الشخصية — خبز السجون — من أجل
ذلك نطلب الدستور — حقوق الامة — الكفاءة الاقتصادية — النظام الاقتصادي —
وفاة فتحي زغلول باشا — وداع الوزارة — تأيين أحمد فتحي زغلول باشا — الحرب .

هذه سبعة كتب في كتاب تصلك هدية من المقتطف في آخر السنة . وسيتم طبع هذا
الكتاب الفذ في حوالي ٢٥٠ صفحة من القطع الكبير .

وترسل الهدية الى الذين سددوا قيمة الاشتراك عن سنة ١٩٤٥ وللمشركين الجدد
عن سنة كاملة . ونحن الكتاب لغير المشتركين أربعون قرشاً مصرياً بخلاف البريد .

من بحوث مقتطف ابريل

ألغاز العلم : فؤاد صروف

بلاد العرب للعرب

اسماعيل مظهر

الاخلاق وتناسخ الشخصيات

الضمان الأخلاقي

سر ارثر ادنجن : قدرتي حافظ طوقان

اصلاح الخط العربي : دكتور متى عقر اوي

كنوز الصحاري المصرية : عبد الحليم الياس نصير

المذهب الشيعي قبيل الدولة الفاطمية وفي أيامها : عطية مصطفى مشرفة

طابع السياسة الدولية بعد الحرب : صلاح الدين الشريف

الاتحاد القومي — داؤه وأدواؤه : ادوار مرقص

نشأة سيادة مصر على البحار : ابراهيم يوسف

الاحلام والروح : أحمد فهمي أبو الخير

بطاقات الوحدة

قصتان

الواجب

الريف والزراعة في الولايات المتحدة : وديع فلسطين

راقصة الفالس (قصيدة) : عدنان مردم بك

من أنواع النبات : محمود مصطفى الدمياطي بك

باب المراسلة والمناظرة

باب المكتبة

باب الأخبار العلمية

وبحوث أخرى

فهرس الجزء الثالث

من المجلد السادس بعد المائة

أغاز العلم : لغز الورقة الخضراء ، لغز بدء الحياة ، لغز الملاءمة في الاحياء :	١٩٧
فؤاد صروف	
على هامش الطب : الدكتور سليمان عزمي باشا	٢٠٣
مأثورات	٢٠٩
العالم العربي - الحرية عقار أدوائه . إسماعيل مظفر	٢١٠
لحظة الصفر (قصة) : عن بوريس جورباتوف	٢١٦
الضمان الاجتماعي - مشروع بيفر دج من ناحيته التاريخية والاجتماعية	٢٢١
حديث ذو شجون	٢٢٦
الدبلوماسية البابوية في محيط السياسة الاوربية : صلاح الدين الشريف	٢٢٧
الريف والزراعة في الولايات المتحدة الاميركية : وديع فلسطين	٢٣٤
الزمرانقة وأصلها : للأب أنستاس ماري السكرمي	٢٣٨
والسبعون وبلغتها	٢٤١
اصلاح الخط العربي : دكتور متى عقر اوي	٢٤٥
قيود (قصيدة) : محمود أبو الوفا	٢٥٣
تحقيق لغوي في مادة (تلمذ) : عبد السلام محمد هارون	٢٥٤
الخطايا العشر	٢٥٩
الاتحاد القومي داؤه ودواؤه : إدوار مرقص	٢٦٥
ارتياذ جزيرة العرب : محمد عبد الغني حسن	٢٦٩
النباتات المتطفلة : رضوان محمد رضوان	٢٧٤
عدو الكذب (قصة) : عن فاسلاف موسكسي ، نقلها حسين المهدي غنام	٢٧٨
من أنواع النبات الطبي : محمود مصطفى الدمياطي بك	٢٨١
باب المراسلة والمناظرة * لبنان ومصر . حول كتاب محمد عبده : للدكتور عثمان أمين .	٢٨٣
تتمة لبحث العرب عرفوا أميركة : محمد عبد الجواد الاصمعي .	
مكتبة المقتطف * خمسة كتب الاستاذ اسعاف البشاشي بك ١ - قلب عربي وعقل أوربي	٢٨٨
٢ - مقام ابراهيم ٣ - العربية واحمد شوقي والريحاني ٤ - البطل الخالد صلاح الدين والشاعر	
الخالد احمد شوقي ٥ - البستان . التعليم الريفي والزراعي في تركيا الحديثة . رابندراناث	
تاجور والوحدة الروحية . عطر ودخان . الاخلاق والواجبات .	
باب الاخبار العلمية * من معجزات العلوم والفنون : لعوض جندي	٢٩٣
هدية المقتطف لسنة ١٩٤٥	٢٩٧